الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المبادئ الأساسية لدراسة الظواهر الأسلوبية في سورة "ص"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص : البلاغة والأسلوبية

من إعداد الطالبة :

منى زلاسي

إشراف الأستاذ :

أ . د : أحمد بلخضر

لجنة المناقشة:

– أ . د – بالقاسم مالكية	جامعة ورقلة	رئيسا.
– أ . د – أحمد بلخضر	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا.
– د – مباركة خمقاني	جامعة ورقلة	عضوا مناقشا.
– د – خديجة عنيشل	جامعة ورقلة	عضوا مناقشا.

السّنة الجامعية :1435 - 1436 هـ / 2014 – 2015 م

بسم الله الرحمن الرّحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة : 105.

وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنّني بَشَرٌ

أَسْهُو وأُخْطِئُ مَا لَمْ يَحمِنِي قَدَرُ

وَلَنْ تَرَى عُذْراً أَوْلَى بِذِي زَلَلٍ

مِنْ أَنْ يَقُولَ مُقِرّاً إِنَّنِي بَشَرُ

* ابن السّراج الشنتري *

الإهداء

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء . . . . أمي الحبيبة

إلى القلب الكبير وينبوع العطاء . . . .أبي الغالي

إلى من تذوّقت معهم أجمل اللحظات . . . أخي وأخواتي

إلى كل من علّموني حروفا من ذهب . . .أساتذتي الكرام

إلى كل من ساعدني في طريق العلم . . . .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي وما توفيقي إلاّ بالله

شكر وعرفان

إذا كان الشكر قيداً للنعمة وسبباً في زيادة الرحمة ودليلاً على صفاء الجوهر؛ فإنّني أشكر الله عزّ وجلّ على ما أولاني من كرمه وفضله،

ثمّ أرفع خالص شكري وفائق تقديري إلى مشرفي العزيز الدكتور أحمد بلخضر الذي سُعدت بإشرافه على هذا العمل، وعلى كل ما بذله من توجيه وإرشاد لي.

إلى كل من ساعدني ومدّ لي يد العون وتحمّلوا معي أعباء هذا العمل من بدايته إلى أن خرج إلى النور؛ عائلتي حفظهم الله لي، و أستاذي العزيز سليم سعداني، وأستاذي وزميلي علي زواري أحمد.

إلى جميع أساتذة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قاصدي مرباح ورقلة

إلى كل هؤلاء أقدّم شكري وامتناني....

المقدمة

إنّ القرآن الكريم هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، وهو الكتاب الفريد في محتوياته، والعجيب في آياته، المعجز بلفظه وبلاغته وأسلوبه، المتميّز بميزة جمالية فنية خاصّة مكّنته من اعطاء الألفاظ لونا برّاقا ولحنا خالدا، فهو أرقى مستويات الكلام العربي في الاعجاز والبناء والنظم والأسلوب.

وعندما نقف عند فنّ القول في القرآن الكريم فلا نبتعد كثيراً عن الأنواع المعروفة في تأليفه، من نحو وبلاغة وأسلوبية، هذه الأخيرة التي نبحث فيها عن المبادئ الجمالية والأبعاد الفنية التي تنبثق من الأساليب التعبيرية، والتي لم يكن لها وجود إلاّ بعد أن مرّت بمراحل معيّنة، هذه المراحل التي عرفت في المصطلح الأسلوبي باسم المبادئ وهي: السياق والاختيار والانزياح، إلى جانب مبادئ أخرى ليست من اهتمام موضوعنا هذا.

ولدراسة هذه المبادئ في القرآن الكريم، فقد وقع اختيارنا على سورة "ص"، لهذا كان عنوان الرسالة "**المبادئ الأساسية لدراسة الظواهر الأسلوبية في سورة ص**".

وكما يتّضح من العنوان؛ فإنّ الغرض منه اسقاط هذه المبادئ على السورة، قصد إبراز أهم الظواهر الأسلوبية التي اشتملت عليها، والتي ساهمت في بناء الهيكل الكلي لها، فأضفت بذلك عليها طابعاً جمالياً ميّزها عن غيرها من سور القرآن.

وقد كان الدافع وراء اختيار هذا الموضوع عدة أسباب ذاتية و موضوعية، فمن الذاتية نذكر مايلي:

- ميلي إلى القرآن الكريم وإلى أسلوبه المعجز بكلماته وجمله وعباراته.

- الرغبة في فهم وتذوّق النص القرآني باعتباره أهم مصدر لغوي تنوّعت فيه طرائق التعبير.

أمّا الموضوعية نذكر:

- أنّ سورة "ص" لم تحظ – على حد علمي– بدراسة مستقلّة من قبل الباحثين في بحث أكاديمي أسلوبي.

– إبراز أهم الجوانب الفنيّة والأسرار الخفيّة التي يتميّز بها الأسلوب القرآني بصفة عامة وسورة "ص" بصفة خاصة.

– الرغبة في إضافة جهد متواضع إلى جهود السابقين المتخصصّة في الدراسات القرآنية من الناحية الأسلوبية.

ومن متطلبات الدراسة العلمية أن نذكر جهود السابقين وبخاصة الدراسات القريبة من دراستنا هذه، وبعد بحثنا واطّلاعنا المتواضع ممّا تحصلنا عليه من الدراسات لم نجد بحثا أكاديميا مستقلا انفرد بتناول سورة "ص" بصورة مستقلّة، ومن هذه الدراسات وجدنا رسالة دكتوراة للطالب **توفيق مزعل الحسناوي** بجامعة الكوفة بعنوان "**الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السورة القرآنية، دراسة تطبيقية على السور المكية**"، أشار الى سورة "ص" في موضعين فقط وهما الأنساق المقطعية المهيمنة، وهيمنة اسلوب الخبر لكن بايجاز كبير، وأيضاً رسالة ماجستير للطالبة **فاطمة محمد شلدان** بجامعة غزّة بعنوان "**المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية على سورة لقمان، السجدة، يس، الصافات، ص**" تعرّضت فيها الى مناسبة السورة ومقاصدها وموضوعاتها وتسميتها وعدد آياتها، كذلك دراسة تطبيقية تناولت فيها مناسبة فواصل سورة ص وآياتها، وكذلك الظواهر البلاغية في فواصل السورة ، وقد تحصّلنا على مقال للأستاذ **نصر الله شاملي** والدكتورة **سمية حسن عليان** بجامعة اصفهان تحت عنوان "**دراسة أسلوبية في سورة ص**"، عالجا فيه الجوانب اللغوية لسورة "ص" عبر أربعة مستويات وهي: (مستوى الصوت، مستوى التركيب، ومستوى الصورة، والمستوى الدلالي)، وإنْ يبدو هذا المقال قريباً جداً من دراستنا هذه؛ إلاّ أنّ هذه الأخيرة تختلف عنه كثيراً من حيث طريقة الطرح.

أمّا بالنسبة لمبادئ الدراسة الأسلوبية الثلاثة لم نحصل –على حدّ اطّلاعنا– على دراسة أكاديمية تجمع بينها جميعا، فالغالب منها كان منصباً حول مبدأ الانزياح وذلك في مقابل المبدأين الأول و الثاني (السياق والاختيار)، إلاّ أننا حصلنا على مداخلة للأستاذ الدكتور

أحمد بلخضر بجامعة ورقلة بعنوان "**مبادئ الدراسة الاسلوبية في تراثنا العربي**" تعرّض فيها الى المبادئ الاسلوبية الثلاث (الاختيار، السياق، الانزياح) من وجهة نظر علمائنا العرب، لهذا كانت دراستنا مختلفة تماما عن سابقاتها من حيث التحليل والطرح.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول بأنّ موضوعنا هذا يطرح الاشكالية التالية: كيف ساهمت المبادئ الأسلوبية الثلاثة (الاختيار، السياق، الانزياح) في خلق النظام البنائي لسورة "ص"؟ وكيف تعاضدت هذه المبادئ في تشكيل السمات الأسلوبية المميّزة للسورة؟

ومن خلال الإشكالية المطروحة في هذا الموضوع، يمكننا أن نحدد الأهداف المرجوّة منه والمتمثّلة في: إبراز جماليات الأسلوب في السورة انطلاقا من اتّحاد المبادئ الأسلوبية الثلاثة، إضافة الى الكشف عن الخصائص الأسلوبية والمدلولات الجمالية المُشَكّلة لها، والبحث عن مكامن التأثير في المتلقي من خلال هذه المبادئ السالفة الذكر.

ولتحقيق هذه الأهداف، وقصد إيجاد حل لهذه الاشكالية المطروحة اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي الذي يتميّز بقدرته على تقصّي الظواهر الأسلوبية في النص بوصفه بنية موحّدة في هذه السورة وفق المبادئ الأسلوبية الثلاث (السياق، الاختيار، الانزياح)، بإضافة إلى المنهج التحليلي الإجرائي والمنهج الأسلوبي الذي ساعد في كشف الظواهر الأسلوبية المميّزة في السورة، وكذا في الوقوف على جماليات التعبير فيها.

ولتجسيد هذا الموضوع رسمنا الخطّة التي بنيناها وفق المخطط الآتي: التمهيد، والذي قدّمنا فيه مفاهيم حول المفاتيح الأساسية للعنوان، والمتمثّلة في: المبادئ، الظواهر، الأسلوبية، والتعريف بسورة "ص".

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى فصلين؛ أحدهما نظري، والآخر تطبيقي، أمّا الفصل الأوّل (النظري) والموسوم بمبادئ الدراسة الأسلوبية، تمّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول وعنوانه "مبدأ السياق"، تطرّقنا فيه لعنصرين وهما: مفهوم السياق

لغة واصطلاحا في الفكر الغربي والعربي الحديث، كذلك في الفكر التراثي العربي القديم، بالاضافة إلى العنصر الثاني والمتمثّل في أنواعه في الدرس الأسلوبي.

المبحث الثاني وعنوانه "مبدأ الاختيار"، حيث تناولنا فيه عنصرين وهما: مفهوم الاختيار من الناحية اللغوية، ثم من الناحية الاصطلاحية عند كل من الفكر الغربي والعربي الحديث، والفكر التراثي العربي القديم، والعنصر الثاني تمثّل في أنواع الاختيار في الدرس الأسلوبي.

المبحث الثالث وعنوانه "مبدأ الانزياح"، وعالجنا فيه عنصرين ، وهما: مفهوم الانزياح لغة، ثم اصطلاحاً في الفكر الغربي والعربي الحديث، وفي الفكر التراثي العربي القديم، وكان العنصر الثاني موسوماً بأنواع الانزياح في الدرس الأسلوبي.

أمّا الفصل الثاني (التطبيقي)، فقد تمّ فيه تطبيق ما نظّرنا له في الفصل الأوّل وفقد وسمناه بـ تجليات المبادئ الأسلوبية في سورة "ص"، وقد قُسّم بدوره إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول وعنوانه أثر السياق الأسلوبي في السورة، وتعرّضنا فيه لعنصرين أساسيين، أولهما: السياق التناسقي، تمّ التطرّق فيه إلى السياق النسقي، والسياق الصوتي، وثانيهما: السياق التنافري، تعرّضنا فيه إلى السياق القصصي.

المبحث الثاني وعنوانه أثر الاختيار الأسلوبي في السورة، حيث تطرّقنا فيه إلى عنصرين وهما، الاختيار التركيبي، تمّ التطرّق فيه إلى أسلوب التكرار وكذا بنية الاستفهام، ثم الاختيار الصوتي والذي تطرّقنا فيه إلى دراسة جرس المفردة.

المبحث الثالث وعنوانه أثر الانزياح الأسلوبي في السورة، ويشتمل على عنصرين وهما: الانزياح التركيبي، تمّ التطرّق فيه إلى ظاهرة التقديم والتأخير، وظاهرة الحذف، وظاهرة الالتفات، أمّا العنصر الثاني فتمثّل في الانزياح الدلالي، وقد اشتمل على الاستعارة، والتشبيه، والكناية، وفي نهاية هذه الدراسة قمنا برصد أهم ما ورد في الموضوع مع التركيز على أهم النتائج التي كانت عبارة عن إجابة للإشكالية التي طرحناها في بداية موضوعنا هذا.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا؛ صعوبة البحث في الدراسات القرآنية، فلا مجال إلاّ للعلم المستند على الأدلّة، وللقول الذي يتحرّى أقصى درجات الصواب، مع ضرورة الأخذ بحظ وافر في جميع علوم اللغة واللسان، وعلم النزول والتفسير، وخاصة مع البحث في الموضوع، والقيام بالكثير من الإستنتاجات أثناء تحليل الجوانب المختلفة، ممّا يجعل تبليغه إلى الآخرين مَهَمَّة صعبة.

وقد تناسينا هذه الصعوبات بذلك التطواف الحافل بين ثنايا رياض التفاسير، التي ساعدتنا في تذليل هذه الصعوبات، ونذكر من بينها؛ تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور، "روح المعاني" للألوسي، "في ظلال القرآن" لسيد قطب، وكذا استعنا ببعض المصادر والمراجع نذكر منها "دلائل الاعجاز" للجرجاني، "الأسلوبية والأسلوب" للمسدي، و"علم الأسلوب" لصلاح فضل، وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى.

وإذا كان الشكر قيداً للنعمة وسبباً في زيادة الرحمة ودليلاً على صفاء الجوهر، فإنّنا نرفع خالص شكرنا وفائق تقديرنا إلى الأستاذ المشرف الدكتور أحمد بلخضر الذي سعدت بإشرافه على هذا العمل وبثّ في نفسي الثّقة والأمل، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

والله نسأل أن يوفقنا ويسدد خطانا إلى ما فيه الصلاح والفلاح، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

منى زلاسي

التمهيد

مصطلحات ومفاهيم

I. مفهوم المبادئ

II. مفهوم الظواهر

III. مفهوم الأسلوبية

IV. التعريف بسورة "ص"

نُقرُّ بداية بأنّ الخَوْضِ في غمار أيّ موضوع يقتضي الوقوف على عتبات العنوان الأساسية التي عن طريقها يمكن الإحاطة بالموضوع، كما يمكننا الكشف عن بعض الأسرار التي تُنير درب القارئ وتضبط تصوّره، ولذلك سنحاول هاهنا أن نعرّج على أربعة مفاهيم أساسية ألا وهي: المبادئ، الظواهر، الأسلوبية، وأخيراً التعريف بصورة "ص".

I. مفهوم المبادئ:

1. لـغـة:

جاء في المعجم الوسيط معنى كلمة مبادئ كالتالي "هي جمع مبدأ، ومبدأ الشيء أولّه ومادته التي يتكون منها كالنواة مبدأ النخل، والحروف مبدأ الكلام"[1]، والطين مبدأ الانسان كما قال الله تعالى: ﴿وبدأ خلق الانسان من طين﴾[2].

ومبدأ الشيء أيضا: قواعده الأساسية التي يقوم عليها، فنقول مثلاً مبادئ اللغة أو الحساب ونحوها، أي الأصول أو المعلومات الأولية، ومبادئ العلم أو الفن، أي القواعد الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها.

ومبادئ الدين هي الامور الأساسية التي يقوم عليها هذا الدين كالإيمان والموالاة والمعادة في الله والصبر على الابتلاء، ونحو ذلك[3].

2. اصطلاحاً:

لكل علم مبادئ ومسائل، "والمبادئ هي الحدود والمقدمات التي منها تؤلف قياساته، وهي التي يتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المباحث وتقرير المذاهب، فللبحث أجزاء مرتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ، الأواسط والمقاطع، وهي المقدمات التي تنتهي الأدلة

---

[1]– ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ج1 د ط.د ت ص42.

[2]– سورة السجدة، الآية 7.

[3]– ينظر: أحمد المختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ، عالم الكتب ط1، ج1، 1429هـ، 2008م، ص168.

والحجج إليها من الضروريات والمسلمات"[1]؛ "فالمبادئ هي التي لا تحتاج إلى البرهان؛ بخلاف المسائل، فإنها تثبت بالبرهان القاطع"[2].

نستخلص من التعريفين اللغوي و الاصطلاحي؛ أن المبادئ هي القواعد الأساسية والأصول الأولية التي يتوقف عليها مسائل كل علم ولا يخرج عنها، والمبادئ الأساسية التي نحن بصدد دراستها في بحثنا هذا تتعلق بعلم الأسلوب، ألا وهي السياق، الاختبار، الانزياح وسنتعرض لكل منها بالتفصيل في الصفحات القادمة.

II.مفهوم الظواهر:

1. لـغـة:

جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ "الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سُمِيَ وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر اوقات النهار وأضوؤها"[3].

ويقال "ظهر الشيء ظهوراً: تَبَيَّنَ، وأظهرتُ الشيء: بيّنه، والظهور: بُدُّو الشيء الخفي، والظاهرة: العين الجاحظة التي ملأت نقرة العين وطلعت على مستواها الطبيعي"[4].

والظاهر من أسماء الله تعالى الحسنى، قال ابن الأثير: "هو الذي ظهر فوق كل شيء وعَلاَ عليه والظاهر خلاف الباطن والظواهر هم أشراف الأرض"[5].

---

[1]– زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، ، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1410 هـ، 1990م، ص295.

[2]– علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1430هـ، 1983م، ص197.

[3]– أبو الحسن أحمد فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة،ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ، 1979 م، ص471.

[4]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 1997م، ص234.

[5]– محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ابو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج12، تح: مجموعة من المحقيقن، دار الهداية، دط، دت، ص484.

2.اصطلاحا:

تعرّف الظاهرة اصطلاحا على أنها "موضوع ذو وجود خارجي حقيقي بصرف النظر عن صلته بالذهن، ولكل علم ظواهره التي يدور بحثه حولها"[1]، كالظاهرة الجوية مثلا هي التي تبرز من خلال آثار الطبيعة كالرياح والأمطار والحرارة والبرودة، أو الظاهرة الاجتماعية التي تعرّف بأنها أمر ينجم بين الناس ويعمّ كظاهرة الإدمان والتدخين وغيرها[2].

نستنتج من التعريفين السابقيين اللغوي والاصطلاحي أنّ الظواهر هي كل ما يبرز ويبدو ويظهر للباحث أثناء بحثه، اي كل ما يشّد انتباهه وما يمكن اعتباره خاصية مميزة تميّز القطعة التي هو بصدد دراستها، ومن بين الظواهر التي سنتعرض لها في بحثنا، ظاهرة الحذف،الالتفات، التقديم والتأخير، والعديد من الظواهر الأخرى التي سيتمكن القارئ من معرفتها، إذا واصل قراءة الرسالة.

III. مفهوم الأسلوبية:

يتكون مصطلح الأسلوبية المترجم من الكلمة الفرنسية "stylistique" من جذرين؛ (Styl) وهو الاسلوب، ولاحقه (tique) وهي التي تعطي البعد العلمي للفظ، لذلك لا يمكننا عبور الجسر للوصول الى معنى الأسلوبية ما لم نتوقف عند مفهوم الأسلوب.

1. لغة:

لم يغفل المعجم العربي الاشارة الى مفهموم الأسلوب، فابن منظور في لسان العرب يعرّفه في مادة (سلب) كالآتي: "يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، وأخذ فلان في أساليب القول أي أفانين منه"[3].

وقد تناول الزمخشري مادة (سلب) فقال: "وسلكت أسلوب فلان أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله واستلبه، وهو متسلب العقل"[4].

ومن التعريف اللغوي لكلمة أسلوب يتبين بُعْدَيْن:

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص741.

[2]– ينظر: أحمد مختار عبد الحميد، مجمع اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1443.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص178.

[4]– جار الله خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 2003م، ص408.

البعد المادي: الذي يمكن أن نلمسه في مفهوم الكلمة من حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطريق الممتد أو السطر من النخيل.

البعد الفني: الذي يتمثل في ربطها بأساليب القول و أفانينه.

2. اصطلاحا:

يمكننا تعريف الأسلوبية بالعودة إلى الأسلوب؛ "فإذا كان الأسلوب مجموعة ألون يصطبغ بها الخطاب ليصل الى اقناع القارئ وامتناعه وشَد انتباهه واثارة خياله، فإنّ الأسلوبية هي العلم الذي يهدف الى الكشف عن هذه الألوان أي العناصر المميزة التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية التي تميزه عن غيره[1]"، وتكون بذلك الأسلوبية هي دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الاخباري الى الوظيفة التأثيرية والجمالية.

لذا سنقوم في بحثنا هذا بإبراز أهم السمات الأسلوبية التي تتميز بها سورة "ص" عن غيرها من سور القرآن الكريم.

IV. التعريف بسورة "ص":

هي "سورة مكية، نزلت في الفترة المتوسطة من حياة المسلمين بمكة، فيما بين الهجرة الى الحبشة والإسراء"[1]، وهي السورة الثامنة والثلاثون في عداد السور، نزلت بعد سورة (القمر) وقبل سورة (الأعراف)[2]، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية، وتسمّى سورة "ص" وهو حرف من حروف الهجاء للإشادة بالكتاب المعجز الذي تحدّى الله به الأولين والآخرين، وهو المنظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية. و تعالج سورة "ص" ثلاث قضايا كبرى

[1]– عبدالله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1976م، ص333.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، الدار التونسية للنشر، دط، دت، ص201.

وهي؛ "قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة"[1]، فهي تهدف إلى[2]:

1) توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وعلى تكبّرهم عن قبول ما أرسل به.
2) تسلية الرسول ﷺ عن صدّهم وتكذيبهم.
3) الإقتداء بالرسل من قبله وذلك من خلال قصصهم، مع بيان جزاء صبرهم عن الابتلاء.
4) إثبات البعث لحكمة جزاء العاملين بأعمالهم من خير أو شر.
5) جزاء المؤمنين المتقين وضدّه من جزاء الطاغين والذين أضلّوهم وقبّحوا لهم الإسلام والمسلمين.
6) وصف أحوال المؤمنين والطاغين يوم القيامة.
7) ذكر أوّل غواية حصلت وأصل كل ضلالة وهي غواية الشيطان في قصّة السجود لآدم.

هذه لمحة موجزة عن سورة "ص"، وسنتعرّف عنها أكثر وعن مميزاتها والسّر الكامن وراء جمال أسلوبها وإبداع نظمها؛ أثناء الشيء الذي دفعنا إلى اختيارها كعيّنة للدراسة من دون سور القران الكريم، وسيتسنى لنا ذلك كله في طيّات البحث من خلال الجزء التطبيقي من هذه الرسالة.

وبهذا التمهيد الموجز نكون قد فتحنا النوافذ المغلقة، و أضأنا بعض السُبل المظلمة، وأزلنا شيئاً من الغموض عن ذهن القارئ، وستتّضح الأمور أكثر مع كل خطوة من خطوات هذا العرض.

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، دار الشروق، ط1، 1972م، ص3004.

[2]– ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص202، 203.

الفصل الأوّل

مبادئ الدراسة الأسلوبية

I. مبدأ السياق

II. مبدأ الاختيار

III. مبدأ الانزياح

١. مبدأ السياق

أولاً: مفهومه

1. لغة

2. اصطلاحا

أ- في الفكر الغربي والعربي الحديث

ب- في الفكر التراثي العربي

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي

1. السياق التناسقي

2. السياق التنافري

I. مبدأ السياق:

يعتبر السياق أوّل المبادئ الأسلوبية؛ لأنّه يفرض على منشئ الخطاب طريقة معيّنة في الكتابة، لذا نجد أنّ الأسلوبية تهتم به للإحاطة بالدلالة، ذلك أنّ السّياق هو العماد الرئيسي في تحديد المعنى المقصود لأيّ بناء نصّي أو كلامي، فالكلمة لوحدها معزولة لا نستطيع الجزم بمدلولها، وتبقى الدلالة المعجمية لها مفتوحة على كل التأويلات، ويأتي السّياق ليوضّح لنا دلالة الكلمة تحديدا دقيقا مهما تعدّدت معانيها، واستبعاد الدلالات الممكنة الأخرى، فهو بذلك يسعى إلى تحقيق مقاصد المتلفّظ بالخطاب وتأدية العملية الابلاغية التي يتوخّى المبدع نقلها إلى القارئ[17].

وبما أنّ اللغة هي مجموعة من العلاقات وليست مجموعة من الألفاظ، فقد جاء السّياق ليوضّح هذه العلاقات ويبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، وبعبارة أدق، فالسّياق هو علاقة المعنى بالمعنى، كما أنّ الكلمة لا معنى لها خارج السّياق الذي ترد فيه – كما أسلفنا الذكر – وربّما اتّحد المدلول واختلف المعنى طبقا للسّياق الذي قيلت فيه العبارة، أو طبقا لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه[18]، ولكن يبقى السّياق هو الذي يحدّد الوظيفة الدلالية للكلمة.

وفيمايلي سنتطرّق لمفهوم السياق من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية:

أولا: مفهومه:

1. لـغـة:

يتكوّن مصطلح السّياق (Contexte) من المقطعين (Text) و (Cont)، أي (مع النسيج)، حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثمّ بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النّص، أي تلك المجموعات من الكلمات

---

[17]– ينظر: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى سامح ربابعة،، ص32.

[18]– ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، ط1، القاهرة، 1403هـ-1983م، ص33، 36.

المتراصّة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثّل فيما يحيط بالكلمة المستعملة في النّص من ملابسات لغوية وغير لغويّة[19].

أمّا المعاجم اللغوية فقد عرّفته كالتالي:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "(السين والواو والقاف) أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساق يسوق سوقاً، والسِّيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي؛ أي صداقها، وأسقْته، والسّوق مشتقّة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق"[20].

يقول بن منظور في لسان العرب: "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً سياقاً... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعن، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة"[21]

ومن هذا المفهوم اللغوي لكلمة سياق نجد أنّها تعني التتابع والتتالي والتساوق والارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد، والتتالي في الحركة لبلوغ غاية محدّدة دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال[22].

هذا عن معنى السّياق في اللغة، فما هو المفهوم الاصطلاحي له عند القدامى والمحدثين؟

2. اصطلاحا:

قبل الإجابة عن سؤالنا السابق؛ لابدّ أن نشير إلى أنّ مصطلح السّياق يعَدّ من المصطلحات العصيّة على التحديد الدقيق في الدراسات اللغوية الحديثة، والسبب في ذلك راجع إلى أنّ المصطلح،"قد يشيع بين الدارسين إلى درجة الابتذال فيتوهّم البعض أنّ هذا المصطلح واضح ومفهوم، فإذا ما حاولوا تحديده، بدا الأمر عسيرا غاية العسر، وغامضا

---

[19]– ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ط3، القاهرة، 1421هـ– 2001م، ص251.

[20]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص117.

[21]– ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص166، 167.

[22]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص166– 169. وينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص225. وينظر: بن فارس، مقاييس اللغة، ص498.

أشدّ الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصيّة على التحديد الدقيق بشكل متّفق عليه بين الدارسين، مصطلح (الكلمة) ومصطلح (الجملة) ومصطلح (السّياق)"[23].

أ- السّياق في الفكر الغربي والعربي الحديث:

نظرا للدور الكبير الذي يلعبه السّياق في تحديد الدلالة، فقد عُدّ في الدراسات الأسلوبية الحديثة مقياسا رئيسا من مقاييس فكّ شفرات الخطاب، إذ يعتمد عليه في تحديد "...معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميّزة في النّص، فهو يحدّد أولاً جملة تمّ نطقها، ثانيا إنّه يخبرنا عادة عن أيّة قضيّة تمّ التعبير عنها بموجب نوع معيّن من القوّة الكلامية دون غيرها..."[24]، لذلك عني الغربيون بموضوع السّياق عناية كبيرة وعرفوه كمصطلح وتناوله الكثير منهم، من بينهم:

1- هاليداي (M HALLIDAY):

يرى أنّ "السّياق هو النّص الآخر أو النّص المصاحب للنّص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[25]، وغير بعيد عن هذا المعنى نجد :

2- بروس أنغام (Bruce Ingham)

تقول أنّ السّياق يعني واحدا من اثنين:

- **السّياق اللغوي:** وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات أخرى.
- **السّياق غير اللغوي:** أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام[26].

نستشفّ من التعريفين السابقين أنّ السّياق هو العلاقة بين البنية الداخلية والبنية الخارجية للحدث اللغوي والتي تعمل متّحدة على كشف أسراره وتفسيرها.

---

[23]- د. محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991، ص28.

[24]- نور الدّين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص201.

[25]- ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السّياق، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط1، 1423هـ، ص51.

[26]- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص51.

3- جون ديبوا (Jean Dubois):

يميّز جون ديبوا في (قاموس اللسانيات وعلوم اللسان) بين نوعين من السّياق، أحدهما مقالي والآخر مقامي؛ أمّا السّياق المقالي فيعرّفه بأنّه: "مجموعة النصوص التي فيها تتموضع (تتحدد) وحدة لغوية معيّنة، أي العناصر التي تسبق والتي تلحق هذه الوحدة لمحيطها"[27]؛ أمّا السّياق المقامي عنده فهو: "مجموع الشروط الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يتحدد بها ملفوظ أو خطاب، إنّها المعطيات المشتركة للمرسل والمتلقي حول الحالة الثقافية والنفسية والخبرات والمعارف لكل واحد منهما"[28].

يتبيّن من تعريفات ديبوا للسّياق أنّ السّياق المقالي هو مجموع العلاقات الداخلية التي تتحكّم في دلالة النّص وتمنح وحداته معناها السّياقي، أمّا السّياق المقامي فهو الظروف والملابسات المشتركة بين المرسل والمتلقي، والتي تعين هذا الأخير على فكّ شفرات رسالة المرسل.

4- جوزيف فندريس (Joseph Vendryes):

لقد تنبّه **فندريس** إلى أهمية السّياق فقال: "أنّ الكلمة لا تحدد بالتعريف المنطقي الذي ترسمه المعجمات فحسب، إذ يتأرجح حول المعنى التجريدي لكل كلمة جوّ عاطفي يحيط بها وينفذ فيها ويعطيه ألوانا مؤقّتة بحسب استعمالاتها التي تكوّن قيمتها التعبيرية"[29]؛ هذا يعني انّ السّياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها[30].

وغير بعيد عن هذا المعنى وهذه الأهمية نجد:

5- ستيفن أولمان (Stephen Ullman)

27-Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique،Larous، Paris،1999،p116.

28- المرجع السابق نفسه، ص116.

29- ينظر: د. فايز الدّاية، علم الدلالة العربي، ط1، دار الفكر دمشق، 1405هـ- 1985م، ص216، 217.

30- ينظر: فندريس، اللغة، ترجمة الدواخي والقصاص، الأنجلو المصرية، 1950م، ص231.

يشير الى أنّ السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة فحسب؛ بل ينبغي أن يشمل القطعة كلّها والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل –بوجه من الوجوه– كل ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات[31].

يتبيّن من هذا التعريف أنّ السياق عند أولمان هو عبارة عن تركيب ذو جانبين مختلفين متكاملين؛ هذا التركيب يتمثّل في العناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية التي تعين على تفسير مقصود المرسل.

6- ميشال ريفاتير(Michael Riffaterre)

يأتي ريفاتير ليوضّح بدقّة السياق الأسلوبي الذي نحن بصدد دراسته في رسالتنا هذه، حيث يعرّفه بأنّه: "نموذج لساني مقطوع بعنصر غير متوقّع"[32]؛ غير أنّ هذا القطع لا يكون عاملا مفككا للنصّ، إنّما هو منبّها أسلوبيا لابد له أن يحدث استجابة ما لدى المتقبّل، فالقوّة الأسلوبية بذلك تنتج من إدخال عنصر غير متوقّع إلى نموذج لغوي[33].

ولربط مبدأ السياق بظاهرة الأسلوب؛ نجد بعض الدارسين الغربيين في تعريفاتهم للأسلوب حضورا لمعنى السياق، ومن هؤلاء نجد:

7- شارل بالي (Charles Bally):

إنّ الأسلوب بحسب تصوّر بالي هو "الاستعمال ذاته" فكأنّ اللغة مجموعة شحنات معزولة، والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر كما في مخبر كيميائي[34].

---

[31]– ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة، د. كمال بشر، مكتبة الشباب، دط، 1972، ص62.

[32]– ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م، ص56.

[33]– ينظر: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2003م، ص18.

[34]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، دت، ص89.

يشير بالي في هذا التصوّر الى العلاقات التي تربط بعضها إثْر بعض، فتتآلف في سلسلة الكلام لتكوّن بنية واحدة تساعد في الكشف عن الغرض المقصود من وراء هذا الكلام المنظوم.

8- هيل (A.Hill):

يعرّف الأسلوب بقوله: "هو الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية؛ لا في مستوى الجملة وإنما في مستوى إطار أوسع كالنصّ أو الكلام"[35]

يتّضح من خلال هذا التعريف أنّ أساس الأسلوب عند هيل هو العلاقة القائمة بين جميع عناصر الحدث اللغوي؛ لا من حيث الدلالة المعنوية بسباقه ولحاقه، وإنّما في مستوى إطار أوسع من ذلك، وهذا هو معنى السياق الذي أشرنا إليه سابقا.

وبعد هذه النظرة التي ألقيناها على تعريفات الغربيين للسياق وأهميته، نشير إلى أنّ هذا الأخير أصبح يمثّل نظرية شهيرة من نظريات علم الدلالة، وقد اكتسبت هذه النظرية شهرتها بفضل العالم الانجليزي فيرث، وفي ذلك يقول كمال بشر: "أنّ فيرث كان منطقيا مع نفسه ومبادئه حين جعل فكرة السياق أساس نظرته في التحليل اللغوي، فعنده أنّ الكلام ليس ضربا من الضوضاء يُلقى في فراغ، وإنما مدار فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنّما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معيّن سمّاه السياق"[36] وهو ذو عناصر معينة متكاملة، وهي ضرورية في عملية الفهم و الإفهام.

أمّا عن العرب المحدثين ونظرتهم للسياق، فنجدهم قد تأثروا بآراء الغربيين في ذلك ومن بينهم نذكر:

1- شكري عيّاد:

لقد دفعت آراء ريفاتير الدكتور عيّاد إلى تقديم تصوره للسياق، وبيان موقفه منه حيث ذهب يؤكد أهميته عند تحليل أي نص أدبي، لأن تغير السياق يمكن أن ينقل عبارة واحدة

---

[35]- المرجع السابق نفسه، ص91.

[36]- كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، مكتبة الشباب، دط، دت، ص131.

من مدح إلى ذم ومن تقديم مجرد إلى تلميح خفي، حيث يشير عيّاد إلى أن ثمة دلالة للكلمة المفردة، إذ لو خلت الكلمة المفردة من أية دلالة لبطلت وظيفتها في السياق وينتهي إلى أن كلمة السياق كلمة مطاطة سواء قصدنا بها السياق اللغوي أو السياق المقامي.

2- صلاح فضل:

كشف أن هناك ما يدعى بأسلوبيات المقال وأسلوبيات المقام معتمداً في ذلك على هاليدي مبيناً أن العلاقة جدلية بين المقام والمقال، فهي تسير في اتجاهين على نحو مستمر، فكما أنّ المقال دليل على المقام فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال.. هذه العلاقة بين المقام والمقال علاقة معقدة . كما يذكر مصلوح . وبخاصة في بعض فنون القول كالمعاريض والتوبيخ والسخرية، وهي فنون تعتمد على المفارقة القائمة بين أجزاء المقال، أو المفارقة بين المثال والمقام.

ومما سبق نقول أنّه إذا كان هذا منظور الأسلوبيين المحدثين الغرب منهم والعرب بخصوص مبدأ السياق، فما هي نظرة التراثيين العرب له؟

وهذا ما سيتم تناوله في العنصر الموالي:

ب- السّياق في الفكر التراثي العربي:

عند استقرائنا لكتب القدامى –على حد اطّلاعنا– لم نجد تعريفا واضحا للسّياق، مما يؤكّد طرحنا السّابق على أنّ هذا المصطلح من أشكل المشكلات في التعريف، إلاّ أنّنا وجدناهم يصرّحون به ويعملون به، وثمّة عدّة ألفاظ في تراثنا العربي مرادفة للسّياق، أهمها، المقام، ومقتضى الحال، والنظم، وبذلك أشار علماؤنا قديما إلى أهمية السّياق وقالوا عبارتهم الشهيرة الموجزة الدالة "لكل مقام مقال" أو العبارة الأخرى "لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[37]، فللمقام دور كبير في المعنى، لأنّه ركن أساسي في الصحة الخارجية للنّص فهو يقصد به "مجموعة الظروف والملابسات التي تصاحب النشاط اللغوي ويكون لها تأثيرها –أو ينبغي

[37]– الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج1، ط3، 1403هـ، 1993م، ص43.

أن يكون- في ذلك النشاط من خارجه، بحيث لا تتّحد دلالة الكلام، أو تتجلّى مزاياه إلاّ في ظلّها، وفي ضوء ارتباطه بها"[38].

ومن أهم من اهتمّ بالسياق في تراثنا العربي:

1- الجاحظ (ت 255هـ)

أوّل نصّ عربي يصادفنا في تراثنا، ويشير الى أهميّة السّياق، هو نصّ الجاحظ، يوضّح فيه مقام المعاني بالنسبة للألفاظ ومقامها في ذهن المتكلّم ومراعاة المخاطب لأحوال المستمعين فيقول: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[39].

نفهم من هذا النّص -رغم الإبهام الشديد الذي يعتريه نتيجة تعدّد الأقدار بين المعاني والكلام والمستمعين والحالات والمقام- أنّ الجاحظ يشير إلى مراعاة العلاقة بين الموضوع واللغة المستعملة، وكذا مراعاة المقام في الكلام والتناسب بينهما، وهكذا فإنّ المعاني ترتّب وتصنّف بحسب أصناف الناس في المجتمع وتباين مقاماتهم وأحوالهم.

"وفكرتا الحال والمقام -في مفهوم البلاغيين- مرتبطتان بالبعد الزماني والمكاني، وذلك أنّ الأمر الذي يدعو المتكلّم إلى تقديم صياغته على وجه معيّن، إمّا أن يتّصل بزمن هذه الصّياغة فيسمى الحال، وإمّا أن يتّصل بمحلّها فيسمى المقام... ومن هنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال"[40]، فالمقام ليس إلاّ الألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحديث.

2- ابن رشيق (ت 456هـ)

---

[38]- حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط3، 1425هـ، 2004م، ص12، 13.

[39]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، ط7، 1418هـ، 1998م، ص138، 139.

[40]- ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص306.

غير بعيد عن مقصود الجاحظ نجد ابن رشيق يشير إلى أنّ سرّ صناعة الشعر يعود الى مراعاة السّياق الخارجي للكلام، فيقول: "... أنّ أول ما يحتاج إليه الشاعر –بعد الجدّ الذي هو الغاية– وفيه وحدة الكفاية، حسن التأنّي والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجأ أخلّ وأوجع، وإن فخر خبّ ووضع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان، ليدخل من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سرّ صناعة الشعر ومغزاه، الذي به تفاوت النّاس وبه تفاضلوا[41].

نستشفّ من هذا النّص أنّ الشاعر عند ابن رشيق أثناء صياغة شعره يضع المتلقي نصْب عينه، فهو حسبه وغايته، فيراعي حالته، ومنها يضع شعره، فهو بذلك يراعي السّياق الخارجي للكلام الذي جعله سرّ صناعة الشعر.

3- عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)

لقد استمرّ المفهوم نفسه لمقولة "لكل مقام مقال" عند عبد القاهر الجرجاني حيث ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه فقال: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، وملّقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظ (اشتعل) من قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا"، أنّها في أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرّفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا"[42].

ويقول في موضع آخر: "فقد اتّضح اتّضاحا لا يدع للشّك مجالا، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث كلمٌ مفردة، فأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ"[43].

يتبيّن من النّصين السابقين انّ اللغة هي مجموعة من العلاقات وليست مجموعة من الألفاظ، وأنّ الكلمة لا معنى لها خارج السّياق الذي ترد فيه، فالسّياق يبحث في ترابط

---

[41]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص199.

[42]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص364.

[43]– المرجع نفسه، ص92.

المعاني اللاحقة بالمعاني السابقة، وأنّ الكلمة لا يتحدد معناها إلاّ بعلاقتها مع سابقها ولاحقها، فالسّياق بذلك يعدّ من أبرز القرائن المعينة على فهم النّص وتفسيره تفسيرا صحيحا يكشف عن المراد منه.

وأمّا عن معنى السّياق لدى المفسرين فقد كان يطلق على "الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم الذي انتظمت أجزاؤه في نسق واحد، والسّياق قد يضاف إلى الآية أو السورة أو القرآن الكريم كلّه، من جهة أغراضه ومقاصده، ومن جهة نظمه المعجز"[44]، فالسّياق في مجال النّص القرآني قد تناوله القدماء عند تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، وذكروا أنّ "السّياق اللغوي سياقا اجتماعيا قبل أن يكون سياقا نصّيا"[45]، وبذلك يكون السّياق القرآني هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لبلوغ غاية محددة في بيان المعنى المقصود.

وبعد هذا التجوال الحافل في كتب التراث، نقول **أنّ** السّياق متجذّر في تراثنا العربي، وقد اهتموا به اهتماما كبيرا رغم أنّهم لم يعطوه تعريفا مستقلاّ، إلاّ أنّهم أدركوا دوره الكبير في توضيح المعنى والكشف عن مقاصد المتكلم التي يريد إيصالها للمتلقي.

من خلال ما قدّمناه بخصوص مفهوم السياق، يمكن أن نجمله فيما ذكره الدكتور هادي نهر: "إنّ العالم الغربي لو التفت إلى معطيات العرب في دراساتهم اللغوية، ووظّفها لخدمة الدرس اللغوي لأفاد فائدتين هامّتين:

أولهما: منح الدرس اللغوي فيضا من العطاء والتقدّم بما يسبق به موقعه الحال.

ثانيهما: كشف الحقائق العلمية التي أقرّها العرب القدماء، بما ينصف الدرس اللغوي عند العرب

ويوقف الباحثين على العديد من المسائل اللغوية التي كان العرب فيها قصب السّبق"[46].

---

[44]– ينظر: تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء، دت، دط، ص232.

[45]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، 1976م، ص72.

[46]– هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ط1، 1408هـ، 1988م، ص86.

من هذا القول تبيّن لنا أنّ نظرات علماء التراثيين العرب للسياق جاءت متفرّقة، تفتقر إلى تنظيم يجمعها في إطار نظرية متكاملة، و أنّ فكرة السياق عند الغرب لم تكن جديدة؛ وإنّما كانت استمرار لجهود الدرس اللغوي عند العرب.

وإذا كانت هذه هي النظرة العامّة للسياق في الفكر الغربي والعربي الحديث وكذا في الفكر التراثي العربي؛ فماهي أنواعه في الدرس الأسلوبي؟ وهذا ما سيتمّ التعرّف عليه في العنصر الموالي.

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي:

يعتبر السياق من أبرز القرائن المعينة على فهم النصّ وتفسيره تفسيراً صحيحاً بالكشف عن المراد منه، ذلك أنّ دراسة معنى أيّ كلمة من الكلمات يتحدّد تبعاً لتعددّ السياقات التي تقع فيها، وكذا بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، وهذا بدوره أدّى إلى وجود أنواع عديدة من السياقات، قسّمها الباحثون كلّ حسب رؤيته وتحليله، ومن هؤلاء الباحثين نذكر:

أ- **مالينوفسكي:** قسّم السياق إلى نوعين[47]:

الأوّل: سياق الحال أو الموقف (Contexte of Situation).

الثاني: السياق الثقافي (Contexte of Culture).

فكلّ من السياقين ضروري في عملية فهم النصّ فهماً كاملاً، وهذا لما يلعبه كل منهما من دور بارز في تفسير النصوص.

ب- **فان دايك:** قسّم السياق إلى خمسة أنواع وهي كالتالي[48]:

الأوّل: السياق التداولي (النص كفعل كلامي).

الثاني: السياق الإدراكي أو المعرفي (فهم النصوص).

---

[47]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء، القاهرة، ط2، 2000م، ص108.

[48]- ينظر فطومة لحمادي، السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصّي، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع32، جوان 2008م.

الثالث: السياق النفسي الاجتماعي (تأثير النصوص).

الرابع: السياق الاجتماعي (النص في التفاعل).

الخامس: السياق الثقافي (النص كظاهرة ثقافية).

فكل من هذه الأنواع تعمل متّحدة على تحديد قيمة النص، ويؤثّر كل منها في الآخر.

ت- ويذهب بعض الباحثين إلى اقتراح تقسيم آخر للسياق؛ يشمل أربعة أقسام وهي:

الأوّل: السياق اللغوي؛ "وهو كل ما يتعلّق بالإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية"[49]، فهذا السياق بدوره يشمل مكوّنات أساسية وهي، السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والأسلوبي[50].

الثاني: السياق العاطفي.

الثالث: سياق الموقف.

الرابع: السياق الثقافي.

فكلّ السياقات الأربعة السابقة تشمل كل ما يتّصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية ونفسية وغيرها، كما تساعد على تدارك وفهم معاني النص المختلفة.

هذا عن تقسيم بعض الباحثين لأنواع السياق، غير أنّنا سنركّز في عرضنا هذا على أنواعه في الدرس الأسلوبي، باعتباره يعمل على إثارة المتلقي جرّاء القطع الذي يحدثه، ومن هنا يمكن ان نقف على نوعين من السياق وهما:

1. السياق التناسقي:

وهو كما أطلق عليه ريفاتير اسم "السياق الأصغر"[51]، ويقصد به "الجوار المباشر للفظ قبله وبعده، وعنى أسلوبياً بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات فيبرز بعضها بعضاً

---

[49]- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمّان، ط1، 1422هـ، 2002م، ص542.

[50]- ينظر: فطومة لحمادي، السياق والنص، ص

[51]- موسى سامح ربابعة، الأيلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص18.

ويؤثّر بعضها في بعض"[52]، هذا التفاعل الذي يعمل على إثارة المنبّه الأسلوبي ومن ثمّ نشكيل عنصر المفاجأة لدى المتلقي، وسيتّضح هذا النوع من السياق أكثر عند دراسة سورة "ص" والكشف عن مدى التناسق والانسجام والإحكام الذي تركّبت منه أجزاءها حتى أعطت في النهاية سورة متكاملة ومتناسقة من حيث المبنى والمعنى.

2. السياق التنافري:

وهو كما أطلق عليه ريفاتير اسم "السياق الأكبر أو الإجرائي"[53]، ويقصد به "ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ؛ كالجملة أو الفقرة أو الخطاب"[54]، ولا يراد به التنافر الذي هو ضد التناسق التركيبي، وإنّما يراد به التنافر التضادي الذي يحدث داخل الأسلوب الواحد، وبتعبير آخر هو عنصر المفاجأة الذي يحلّ محل الاتّساق والانسجام المعنوي الذي يفرضه السياق النسقي التركيبي، فهو كما عرّفه ريفاتير "نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقّع من قبل المتلقي"[55]، وهذا النوع من السياق يعطي للنص حيويته وجماليته الأسلوبية.

وممّا سبق نرى أنّ أنواع السياق في الدرس الأسلوبي تساعد على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني الانفعالية، إضافة إلى إحداث عنصر المفاجأة الذي يعمل على إثارة المتلقي وحفزه ودفعه إلى الربط بين السياقات المختلفة للبنية الكليّة بخطاب واستنباط العلاقة بينها.

وإذا كان هذا مبدأ السياق في الدرس الأسلوبي؛ فما هي نظرة العلماء لمبدأ الاختيار؟ وما هي أنواعه؟ وهذا ما سيتمّ التعرّف عليه في العنصر الموالي.

---

[52]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص175.

[53]– موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص19.

[54]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص175.

[55]– ميكائيل ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ص56.

II . مبدأ الاختيار

أولاً: مفهومه

1. لغة

2. اصطلاحا

أ- في الفكر الغربي والعربي الحديث

ب- في الفكر التراثي العربي

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي

1. اختيار محكوم بالموقف والمقام

2. اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة

II.مبدأ الاختيار:

يأتي مبدأ الاختيار في الدرجة الثانية بعد السياق، وهو الوجه الذي يستقر عليه الخطاب بعامة أو النصّ بخاصّة، ويعدّ مبدأ الاختيار منهجاً من مناهج الحياة بعامة والقولية منها بخاصّة؛ والذي به تقاس أساليبنا وأقوالنا وأفعالنا من حيث التناسق والانسجام أو التناغم.

ولعلّ لهذا الدور الهام الذي يؤدّيه الاختيار أو الانتقاء في نظم وتأليف أساليب الكلام نجد الدارسين الأسلوبيين يعتمدونه مبدأً أساسياً في دراساتهم للأسلوب، وذلك من خلال رصدهم لأساليب القول الشفوي فيه والمكتوب، بغية الوقوف على التميّز والتفرّد الذي يتضمّنه كل أسلوب من هذه الأساليب وذلك كلّه ينطلق من اللغة التي تمّ انتقاؤها للتأثير في المتلقي وخلق استجابة لديه.

فالنّص الإبداعي نظام قوامه الاختيار الواعي لأدوات التعبير، "فنحن عندما نكتب أو نتكلّم نستعمل عمدا بعض السّمات النوعية والكميّة القائمة في الألفاظ والجمل، أي ننهل من النظام اللغوي ما يتلاءم والقصد الذي نرومه، فيكون اختيارنا بالإضافة إلى كونه لسانيا، نفسيا أيضا، لأننا نختار عن وعي معرفي وفق ما يستلهمه شعورنا"[56]، أي أنّ الكاتب ينتقي عن وعي أدواته التعبيرية من الذخيرة العامة للغة كي يصبّ فيها ما تجيش به نفسه من مشاعر وأحاسيس وانطباعات، وفي هذه الحالة تتجاوز هذه الأدوات مستوى التوصيل بلوغا للمستوى الجمالي المعبّر عن العواطف والانفعالات وحيوية المعاني.

فالاختيار الأسلوبي هو اختيار واعي ومقصود، "لأنّ غاية المنشئ أن يكون اختياره ذا تأثير في القطب الآخر من دائرة الإبداع وهو المتلقي"[57]، فالظاهرة الأسلوبية اذاً هي انتقاء للوسائل اللغوية المناسبة من النظام اللغوي عن وعي معرفي لتأدية المعنى والتعبير عنه، وهنا تكمن مَهَمّة الباحث الأسلوبي في البحث عن الأسباب الكامنة وراء اختيار كلمة بدلا من كلمة أخرى، وتفضيل عبارة عن عبارة أخرى أو تركيب عن تركيب سواه، لأنّه أفصح

---

[56] – ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص37.

[57] – ينظر: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص30.

وأدقّ في التعبير عن الغرض وإصابة القصد، لذلك تُلحّ الأسلوبية على إبراز مبدأ الاختيار في كل عملية خلق فنّي، وقبل الوقوف على هذا الدور الأسلوبي الذي يؤديه هذا المبدأ، يتحتّم علينا التعرّف عليه من خلال ما يلي:

أولا: مفهومه:

1. لـغـة:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة تعريفا لمادة (خير) كالآتي: "اختارَ يختار، اخْتَرْ، اختيارًا وخِيرةً وخِيارًا، فهو مُختار، والمفعول مُختار اختار الطَّريقَ الأفضلَ: توجّه إليه بمحض إرادته، اصطفاه وانتقاه، وفي قول تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى}: اصطفيتُك للرسالة"[58]، وخيّر بَين الْأَشْيَاء؛ فضّل بَعْضهَا على بعض وَالشَّيْء على غَيره فَضله عَلَيْهِ وَفُلَانًا فوض إِلَيْهِ الِاخْتِيَار يُقَال خَيره بَين الشَّيْئَيْنِ، واخْتَارَهُ انتقاه واصطفاه وَالشَّيْء على غَيره فَضله عَلَيْهِ[59].

فالاختيار في اللغة اذاً هو الاصطفاء، والإيثار، والتفضيل، وإرادة الشيء بدلا من غيره.

2. اصطلاحا:

قبل أن نعرّج بحديثنا إلى ما تناوله الفكر التراثي العربي من مفاهيم حول هذا الموضوع سنحاول التطرّق إلى اهتمام الفكر الغربي والعربي في العصر الحديث بمبدأ الاختيار الأسلوبي

أ- الاختيار في الفكر الغربي والعربي الحديث:

عند تصفّحنا لبعض الدراسات الأسلوبية الحديثة التي حاول أصحابها تعريف ماهية الأسلوب؛ فإنّنا نجدها تربط هذه الماهية بوظيفة الاختيار(choie)، لذا شاع في الدراسات الأسلوبية أنّ الأسلوب اختيار ، فالمنشئ يعمد إلى أن يختار من اللغة معجما خاصاً يوظفه

---

[58]- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص711.

[59]- ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص264.

حسب غاياته التعبيرية حتى يستطيع بذلك تكوين رسالته وإحداث الأثر المرجو منها لدى المتلقي وبالتالي يحدث التواصل، لذلك ارتبط الاختيار بمفهوم الأسلوب واعتبر حدا فاصلا بين الكلام الفنّي الجمالي وغير الجمالي، ولعلّ هذا ما سنتعرّف عليه من استعراضنا لبعض آراء مجموعة من الدارسين الغربيين المحدثين وهم على التوالي:

1- بيير جيرو (Pierre Guiraud):

يعرّف تلميذ بالي الأسلوب على النحو التالي: "الأسلوب مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، هذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلّم أو الكاتب"[60]، أي أنّ الأسلوب عنده يشمل أدوات التعبير التي يختارها المنشئ بعناية ودقّة، فهو بذلك يرى أنّ في الاختيار الواعي لأدوات التعبير يكمن الأسلوب[61].

2- قابيلانتز (Georg von der Gabelentz)

يعرّف الأسلوب بقوله: "الأسلوب ينطوي على تفضيل الإنسان بعض طاقات اللغة على بعضها الآخر في لحظة محددة من لحظات الاستعمال"[62]، أي أنّ الإنسان يتصرّف في طاقات اللغة حسب غاياته التعبيرية لإنشاء رسالته اللسانية.

3- ماروزو (Marouzeau Jules):

يعرّف الأسلوب بأنّه: "اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحّياد اللغوي الى خطاب متميّز بنفسه"[63]، أي أنّ الكاتب ينتقي عباراته بدقّة لينقلها من درجتها الصفر الى خطاب متميّز بذاته.

إذا كانت هذه نظرة بعض الأسلوبيين الغربيين المحدثين لعملية الاختيار التي تتحكّم في إنشاء الأسلوب؛ فما هي نظرة الدارسين الأسلوبيين العرب المحدثين لهذا المبدأ؟ ولابدّ من

---

[60]- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ- 1998م ، ص126- 127.

[61]- ينظر: بيير جيرو، الأسلوبية، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط2، 1994م، ص11.

[62]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص76

[63]- عدنان بن ذريل، النّص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 2000م، ص44.

الإشارة إلى أنّ المجال لا يتيح لذكر كل ما جادت به قريحة هؤلاء في هذا المجال؛ لذا نكتفي بذكر بعض منهم على التوالي:

1- أحمد الشايب:

يعرّف الأسلوب بقوله: "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[64]، جعل أحمد الشايب الأسلوب مرتبط بتخيّر الألفاظ وضمّها الى بعضها البعض لتوحي في النهاية بالمعنى الذي يرمي إليه الكاتب ومن ثمّ التأثير في المتلقي.

2- صلاح فضل:

يقول بأنّ الأسلوب "يولد نتيجة لانتقاء المؤلف من بين إمكانات اللغة الاختيارية التي تقوم بينها علاقة التبادل"[65].

فهو يرى أنّ ميلاد الأسلوب يكون عندما توجد العديد من الكلمات المتفاوتة في المعنى، فيعمد المؤلف بذلك إلى أن يأخذ من هذه الكلمات ما يدلّ على فكرته كاملة.

3- سعد مصلوح:

يرى أنّ الأسلوب "هو اختيار او انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين"[66]؛ أي أنّ اللغة عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير وعلى المنشئ الاختيار من بين هذه البدائل لتأدية الغرض المرجو.

4- عبد السلام المسدي:

الأسلوب عنده "هو اختيار واع يسلّطه المؤلف على ما توفّره اللغة من سعة وطاقات"[67].

---

[64]- أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع، ط8، 1411هـ- 1991م، ص44.

[65]- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص116.

[66]- سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، ط3، 1412هـ- 1992م، ص37- 38.

[67]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص74- 75.

هذا تعريف دقيق ومحدّد، يبيّن بأنّ الأسلوب اختيار يصدر عن وعي المؤلف، وأنّ هذا الأخير يعمد إلى الاختيار من طاقات اللغة ما يخدم موقفه ويترجم فكره وشخصيته، وفي ذلك كله يكمن الأسلوب الذي يطابق فكر وشخصية صاحبه.

من خلال ما سبق ذكره نرى بأنّ الاختيار عند المحدثين ارتبط ارتباطا وثيقا بالأسلوب؛ بل عُدّ الأسلوب ذاته عند البعض منهم، ومن ذلك نخلص إلى أنّ الاختيار عندهم هو عملية مقصودة ترمي إلى انتقاء خاص لعناصر اللغة المتميّزة والتأثير في المتلقي بوجه أو بآخر، وذلك من خلال الإمكانات اللغوية المتاحة أمامه.

وإذا كانت هذه نظرة المحدثين الغربيين والعرب للاختيار، فما هو منظور التراثيين العرب لهذا المبدأ الأسلوبي؟ وهذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال العنصر الموالي:

ب- الاختيار في الفكر التراثي العربي:

قد لا نجد هذا المصطلح في كتب التراث قد عولج بمثل ما عالجه المحدثون، إلاّ أنّنا قد نلمسه في بعض تعليقاتهم وتحليلاتهم لبعض النصوص الأدبية وبخاصة الشعرية منها؛ ولتأكيد هذا الأمر سنحاول أن نستقرئ بعض هذه الآراء من خلال بعض أعلام التراث العربي، ومن بين هؤلاء نذكر: (ابن طباطبا، بن المدبّر، بن سنان الخفاجي، عبد القاهر الجرجاني).

1- ابن طباطبا (ت 322هـ):

تضمّن كتابه "عيار الشعر" فصلاً في صناعة الشعر، تحدّث فيه عن أساس هذه الصّناعة، ورأى أنّ الشاعر إذا أراد بناء قصيدة "مخّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعدّ له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في

شغل القوافي بما يقتضيه من المعاني...ثمّ يتأمّل ما قد أداه إليه طبعه، وقد نتجته فكرته، يستقصي انتقاده، ويرُمّ ما قد وهى منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة نقيّة"[68]

من خلال هذا النّص يتبيّن أن الأساس في صناعة الشعر عند بن طباطبا هو الأسلوب الذي يجمع بين الفكر الذي يمتلكه الشاعر والإبداع اللغوي والإيقاعي والجمالي، فهو بذلك قد ربط مفهوم الأسلوب بصفة مناسبته الكلام بعضه لبعض، أي أنّه هو الأساس في نسج بنية النص عبر جميع مستوياته.

فمفهوم الأسلوب عنده هو الاختيار عند علماء الأسلوب اليوم؛ أي اختيار واعٍ في إطار قد حُدّد بوضوح من قِبَل الشاعر لظهور قصيدته في أبهى حُلّة وذلك بمراعاة حال المتلقي.

لذا فالاختيار عنده اذاً يكون نتيجة انتقاء الشاعر للمعاني في ذهنه أولاً، ثمّ اختيار الألفاظ التي توافق هذه المعاني ثانياً، فما وافق لفطه معناه أثبته، وما لم يوافق نقل ذلك اللفظ إلى معنى آخر هو أحسن وقعا من المعنى الأول وهذا ما يفسّره قوله: "... وإذا اتّفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني، واتّفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأوّل، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن"[69]، فالقصيدة اذاً هي اختيار يقوم به الشاعر على مستوى كل بيت من أبياتها.

2- ابن المدبّر (ت 279هـ):

وإذا جئنا إلى بن المدبّر فإنّنا نجده يولي أهمية كبيرة لعملية الاختيار، بل إنّه يصفها بالصعوبة فيقول: "وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها، لأنّ اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها من الفصاحة والحسن ولا تحسن في مكان غيرها"[70]، وهذا يعود إلى السّعة في كثرة الأسماء للمسمّى الواحد، فهذا القول يضاهي قول علماء

---

[68]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1426هـ، 2005م، ص11.

[69]- المرجع نفسه، ص11

[70]- نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص178- 179.

الأسلوب حين ذكروا أنّ المبدع يقوم بعملية الاستبدال من بين مجموعة من الألفاظ المترادفة القائمة في الرصيد المعجمي له، يقوم بينها ما يسمى بالعلاقات الاستبدالية، وللمتكلم أن يأتي بأحد هذه الألفاظ في نقطة معيّنة من نقاط سلسلة الكلام.

3- ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ):

إذا كان الاختيار عند بن طباطبا عاماً ويتعلّق بكل ما يساعد في صناعة الكلام الجيّد والجميل؛ فإنّه عند الخفاجي ينحصر في معيّن اللغة التي يستقي منها الأديب أو الكاتب مادّته اللغوية، ولعلّ هذا ما نفهمه من قوله: "فأمّا السّعة فالأمر فيها واضح، لأنّ الناظم او الناثر إذا حظر عليه موضع إيراد لفظة، وكانت اللغة التي ينسج منها ذات ألفاظ كثيرة، تقع موقع تلك اللفظة في المعنى، أخذ ما يليق بالموضع من غير عنت ولا مشقّة، وهذا غير ممكن لولا السّعة في كثرة الأسماء للمسمّى الواحد، وتلك فائدة حاصلة بلا خلاف"[71].

فنراه يصف اللغة في هذا النّص بأنّها خزّاناً رحباً، يختار منه المنشئ ما يرى أنّه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه، وهذا ما يوافق نظرة الأسلوبيين اليوم، في أنّ عملية الاختيار في الأسلوبية يمكن أن تُؤَدَّى بطرق وأساليب متعددّة، وهذا راجع في الأساس الى الثروة اللغوية الهائلة التي تحملها لغة ما، وقدرة المبدع في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام حسب غاياته التعبيرية.

4- عبد القاهر الجرجاني: (ت 471هـ)

إذا كان بن طباطبا والخفاجي وكل من سلك طريقهما، قد جعلوا عملية الاختيار مقصورة على المفردات والألفاظ، أي ما يعرف بالاختيار من المعجم، فإنّ عبد القاهر الجرجاني استطاع من خلال معالجته لقضيّة النظم أن يجعل المعجم والتركيب داخليْن في عملية الاختيار[72]، وذلك عندما "تتّحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون

---

[71]- ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، 1402هـ، ص51.

[72]- ينظر: سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص28 .

حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هنا في حال ما يضعه بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به"[73].

يتبيّن من هذا النّص أنّ عملية الاختيار عند الجرجاني هي "عملية فردية يقوم بها المنشئ عن وعي وقصد حسب غاياته التعبيرية، فهو بذلك يضع في ذهنه المتلقي الذي يريد له أن يصل إلى ما يريده"[74]، وبهذا يظهر التفاوت بين المبدعين في أساليبهم.

فالأسلوب بذلك عنده لا ينفصل عن النظم، إذ يعرّفه بقوله: أنّ الأسلوب هو "ضرب من النظم والطريقة فيه"، فالنّظم بالمقابل يقتضي الدّقة في الاختيار الأسلوبي الذي يوازن بين عناصر العمل الفنّي في ضوء المعنى الذي يريد المبدع التعبير عنه.

ويشير الجرجاني أيضا من خلال عبارة "وليس من شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره و قانون يحيط به"، أنّ عملية الاختيار يمكن أن تكون لا نهائية، بل هي مفتوحة على إمكانيات لا حصر لها، ليس على صعيد المعجم فقط وإنّما على صعيد التركيب أيضا[75].

ولعلّ بهذا يمكن القول بأنّ عملية الاختيار تبقى محدودة رغم ذلك، إذ يستلزم علينا في أغلب الأحوال أن نختار بدائل معينة نراعي فيها الإيحاءات التي نريد إثارتها في المتلقي.

هذه عيّنة قليلة من رصيد التراث العربي الذي يحفل بآراء تكاد تتّفق حول أهمية الانتقاء والاختيار التي يقوم بها منشئ الخطاب في التعبير عن مواقفه الحياتية بعامّة، وهي في منظور هؤلاء تمثّل ميداناً للتنافس والتفاضل بين المبدعين.

وإذا كانت هذه نظرة المحدثين الغربيين والعرب وكذا التراثيين لمفهوم الاختيار؛ فما هي أنواع هذا الأخير في الدرس الأسلوبي؟ وهذا ما سنحاول التعرّف عليه في العنصر الموالي:

---

[73] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م-1428هـ، ص133.

[74] – ينظر: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، سامح ربابعة، ص29

[75]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي:

إنّ عملية اختيار العناصر اللغوية داخل الأسلوب يمكن أن تُؤَدَّى بطرق وأساليب متعددة، وهذا أمر ممكن، لأنّه يعتمد في الأساس على ثروة المنشئ اللغوية وقدرته على الانتقاء من النظام اللغوي الذي يقدّم له إمكانيات واحتمالات متعددة يستطيع اختيار وانتقاء ما يتلاءم والموقف الذي يعبّر عنه؛ "إذ هناك احتمالات لتأدية الخبر الواحد بطرق متعددة، فيمكن للإنسان العادي أن يعبّر عمّا يريد بأساليب مختلفة فكيف يكون الحال عند الأديب والمبدع"[76]، والحال مختلف تماما عند الله سبحانه وتعالى وهو المبدع في اختيار كلامه وتراكيبه، غير أنّه لا يمكن اعتبار كل اختيار يقوم به المنشئ اختيارا أسلوبيا، لذا من الضروري تحديد نوعين مختلفين من الاختيار:

- ✓ اختيار محكوم بالموقف والمقام
- ✓ اختيار تتحكّم فيه مقتضيات التعبير الخالصة[77]

1. اختيار محكوم بالوقف والمقام:

هو اختيار نفعي يهدف إلى تحقيق هدف عملي محدد، وربّما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى لأنّها أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة، أو لأنّه –على عكس ذلك– يريد أن يضلل سامعه، أو يتفادى الصدام بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معيّنة[78]، ولابدّ أن يكون المقال في هذا الاختيار خاضعا للمقام، لأنّ السياق عنصر مهم في عملية الاختيار، ولابدّ للسياق أن يكون نسقا متكاملا قادرا على تأدية العميلة الإبداعية التي يتوخى المبدع إيصالها الى المتلقي وخلق استجابة معينة عنده، وأثناء تطبيقنا لهذا النوع من الاختيار على سورة "ص" سيتّضح جليا العناصر التي يمكن ضمّها لهذا الباب وستبرز القيم الأسلوبية والمعاني الجليلة التي يتوخى الله إظهارها من هذا الاختيار الحاصل في السورة.

---

[76]– ينظر، موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص27.

[77]– ينظر، نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص173.

[78]– ينظر، المرجع نفسه، ص173.

2. اختيار تتحكّم فيه مقتضيات التعبير الخالصة:

يمكننا أن نعرّف هذا النوع من الاختيار بأنّه "الاختيار النحوي والمقصود بالنحو في هذا المصطلح قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة، ويكون هذا الاختيار حين يؤثر المنشئ كلمة أو تركيبا على تركيب لأنها أصح وأدقّ في توصيل ما يريد"[79]، "فالمنشئ يختار أبنية لغوية تخضع لقواعد نحوية، مثل جمل النفي والاستفهام و الأمر والشرط وغير ذلك من الصيغ التي لا مفرّ له من إتباعها"[80]، وهذه الصيغ والخيارات هي التي تبرز تفرّد المنشئ وتعطي علامة مميّزة لأسلوبه.

فالاختيار يتم على مستوى اللفظ أولا ثمّ ينتقل الى نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال، ومن هنا كان الأسلوب في عرف الدارسين يقصد به العبارة اللفظية المنسّقة لأداء المعاني، وهو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير، وتبدو مقدرة منشئ الخطاب وبراعته في طرق التفاوت في التركيب الخاص للبنية اللغوية في الخطاب والذي يعود في أساسه إلى القدرة على الاختيار للوحدات اللغوية المشكّلة للخطاب، وحسن تنسيقها في مواقعها، وتوخي معاني النحو فيما بينها من علاقات، فالأساليب تتنوّع وفقا لقدرة منشئها في توخي معاني النحو فيما بين الكلم من علاقات[81].

هذا عن نظرة العلماء المحدثين والقدامى للمبدأ الثاني من مبادئ الدراسة الأسلوبية، ألا وهو الاختيار، وفيما يلي سنتعرّف عن نظرتهم للمبدأ الثالث؛ وهو الانزياح.

---

[79]– ينظر، نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص174.

[80]– عبد العزيز جاب الله، تلوينات العدول في الجملة القرآنية، بحث مقدّم لجامعة كفر الشيخ، بوابة الونشريس، نقلا عن صلاح فضل، علم الأسلوب، ص103.

[81]– ينظر، المرجع نفسه، ص176.

III. مبدأ الانزياح

أولاً: مفهومه

1. لغة
2. اصطلاحا

أ- في الفكر الغربي والعربي الحديث

ب- في الفكر التراثي العربي

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي

1. الانزياح التركيبي
2. الانزياح الدلالي

III. مبدأ الانزياح

هناك عدّة مفردات تدل على كسر تسلسل الكلام، ومنعه من الجريان على وتيرة واحدة، تتمثّل في "الانزياح والتجاوز والانحراف والانتهاك والشناعة، المخالفة والإطاحة، وخرق السنن واللحن"[1]، والعدول وهذه المسميات كما يقول عدنان بن ذريل: "هي في الحقيقة لمسمى واحد وأطلق عليها عائلة الانزياح، وما الاختلاف في التسمية إلا نتيجة الاختلاف في النظرة إلى تطبيقاتها"[2].

وقد وجدت الدراسات الأسلوبية الانزياح ميدانا خاصا للبحث والدراسة، فهو يعدُّ عملية جوهرية في تحديد الأسلوب، ومؤشرا نصّيا على أدبية النص، ذلك أنّ الخروج عن النسيج اللغوي العادي في أي مستوى من مستوياته، الصوتية، التركيبية، الأسلوبية والبلاغية، يمثل في حدّ ذاته حدثا أسلوبيا، وبهذا يكون الانزياح خروجا عن المألوف في استعمال اللغة إلى استخدام جديد، فهو بذلك يعتبر الفيصل مابين الكلام الفني وغير الفني.

وتكمن وظيفة الانزياح الرئيسة في "عنصر المفاجأة التي تصدم المتلقي، وتشكّل الإثارة والدهشة لديه، فكلما كانت السّمة الأسلوبية متضمّنة للمفاجأة فإنّها تحدث خلخلة وهزّة في إدراك القارئ ووعيه، لذلك فإنّ قيمة كل ظاهرة أسلوبية تتناسب مع حدث المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا، بحيث كلما كانت الخاصية غير منتظرة كان وقعها في نفس المتقبّل أوقع"[3].

وسنحاول في ما يأتي التعرّف على مفهوم الانزياح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية

1- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص100، 101.

2- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسّر للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 2007م، ص181.

3- موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص17.

أولاً: مفهومه:

1.لـغـة:

جاء في لسان العرب معنى مادة (نزح) كالآتي: "نزح الشيء ينزح نزحاً ونزوحاً: بَعُدَ، ونزحت الدار فهي تنزح نزوحاً إذا بَعُدَت، ونزح البئر ينزحها نزحاً وأنزحها: إذا استقى ما فيها حتى ينفذ، وقيل: حتى يقلّ ماؤها"[1].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة جاء المفهوم اللغوي للانزياح كما يلي: "نزح إلى، نزح عن، نزحاً ونزوحاً فهو نازح والمفعول منزوح، نزح البئر ونحوها: فرّغها أو قلّ ماؤها أو نفذ، ونزح الشخص عن أرضه: بَعُدَ عنها، ونزح إلى العاصمة أي انتقل"[2].

نستنتج مما سبق أنّ معنى الانزياح في اللغة هو البعد والنفاذ والانتقال؛ فالانزياح هو انتقال من مكان إلى مكان وفي اللغة هو انتقال من معنى إلى معنى آخر، والبعد عن مدلول أول إلى مدلول ثانٍ.

2. اصطلاحا:

لكون الانزياح من المصطلحات التي شاعت في الدراسات الأسلوبية الحديثة، فسنتعرض لأهم تعريفاته عند المحدثين أولاً، ثمّ نتطرّق إلى تعريفاته عند نقادنا القدامى ثانيا.

أ- الانزياح في الفكر الغربي والعربي الحديث:

ارتبط مفهوم الأسلوب عند كثير من المحدثين بمفهوم الانزياح؛ اذ يمكن اعتبار هذا الأخير هو الأسلوب الأدبي ذاته، ومن هؤلاء المحدثين نذكر:

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص231، 232.

[2]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص2191، 2192.

1- بول فاليري (Paul Valery):

قال في عبارته الشهيرة أنّ: "الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما"[1].

فقد اعتبر أنّ الأسلوب يكمن في الحياد عن القاعدة.

2- جون كوهن (John Cohen):

عرّف الأسلوب بأنّه "هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة... هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن خطأ مراد"[2]

فيرى أنّ جوهر الأسلوب يكمن في مخالفة النمط المعياري المتعارف عليه إلى نمط جديد غير مستهلك، فهو إذا مخالفة مقصودة يعمد من خلالها المبدع إلى زعزعة الأنظمة الثابتة للغة لإثارة السامع وحفزه على التقبّل.

3- أسغود (Charles Eigrton Osgood):

يعرّف الأسلوب بأنّه "خروج فردي على المعيار لصالح المواقف التي يصورها النّص"[3].

نفهم من هذا التعريف أنّ النص بإمكانه أن يحقق انزياحا بالنسبة إلى معيار متواضع عليه، وذلك راجع الى قدرة المبدع على انتهاك المألوف حسب المواقف التي يصورها النّص سواء أكان هذا الانتهاك صوتيا أو صرفيا أو دلاليا.

4- تيزيفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov):

عرّف الأسلوب اعتمادا على مبدأ الانزياح بأنّه "لحن مبرّر ما كان يوجد لو أنّ اللغة الأدبية كانت تطبيقاً للأشكال النحوية الأولى"[4]، من خلال تعريفه للأسلوب يتبيّن إن النحو مجال للقيود، والأسلوبية هي مجال للحرّيات، فالمتكلّم يعمد إلى خلخلة الأنظمة اللغوية الراسخة؛ وذلك بتحميل الألفاظ دلالات جديدة لم تكن مألوفة من قبل، وهو عمل مقصود يتوخّى منه زيادة الطاقات الإيحائية للألفاظ.

---

[1] - صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،، ص208م.

[2] - جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، القاهرة، دار غريب، ط4، 1999م، ص35.

[3] - ينظر: فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية،، تر: خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1424هـ- 2003م، ص36.

[4] - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص102، 103.

أمّا بالنسبة لنظرة بعض الأسلوبيين العرب المحدثين لمفهوم الانزياح فنجدها تتمثّل في:

1- نور الدين السّد:

عرّف الانزياح بأنّه "انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته"[1]، فمفهوم الانزياح عنده يدور حول تكسير العرف اللغوي والخروج عن الشائع والمستعمل الذي درج الناس عليه إلى مستوى أرقى، مما يجعل الكلام فنيا إبداعيا يتضمّن خصوصية جمالية.

2- محمد مندور:

نجده يتفق مع نور الدين السّد في مفهوم الانزياح إذ يعرّفه بأنّه "خروج عن قواعد اللغة، وعلى المألوف من التعبير والتركيب ومخالفة المقاييس المتعارف عليها التماسا لجمال الأداء وروعته"[2]؛ أي أنّه خروج عن المألوف من العلاقات الاسنادية المتداولة الى مستوى يحقق خصوصية النص وتميّزه.

مما سبق ذكره نجد أنّ مفهوم الانزياح عند الأسلوبيين المحدثين يدور حول إخراج اللغة من دائرة المعاني المستهلكة إلى معاني جديدة مبتكرة، قصد الارتقاء باللغة العادية إلى مستوى الجمالية، ومن ذلك تتولد دلالات جديدة للألفاظ ينجم عنها علاقات لغوية لم تكن مألوفة من قبل، وهذا ممّا يضع المتلقي في حيرة أمام هذا التكثيف الدلالي من أجل تفسير هذا الانزياح اللغوي.

ب- الانزياح في الفكر التراثي العربي:

هناك سؤال يفرض نفسه في هذا المقام؛ وهو: هل عالج الدارسون العرب القدامى خاصية الانزياح كما عالجها الدارسون المحدثون؟

[1]- نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص198.

[2]- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، دط، 1969م، ص265.

أثناء بحثنا في بطون التراث الفكري القديم وجدنا العديد من المصطلحات منها: العدول، الاتّساع، الالتفات، الضرورة الشعرية والشجاعة العربية....الخ، وهي في الحقيقة مسميات تدور كلّها حول مفهوم واحد وهو الخروج عن السابق والإتيان بالجديد، وهذا ما يوازي مفهوم الانزياح في عصرنا الحديث.

وقد اهتم علماؤنا القدامى بجمالية التعبير الفني واعتبار اللغة شكلا فنيا للأدب ووسيلته وأداءه، لذلك أدركوا وجود مستويين للكلام؛ "الأول مستواها المثالي في الأداء العادي، والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها"[1]، ومن ثمّ اعتبر مستوى الخطاب القرآني نمطاً خطابياً جديداً تحدّى كل الأنماط التعبيرية الموجودة سابقا بخروجه عن المألوف في ألفاظه وتراكيبه وصيغه.

ويؤكّد نصر حامد أبو زيد أنّ "البحث في قضية الإعجاز ليس في حقيقته إلاّ بحثاً عن السّمات الخاصّة للنّص والتي تميّزه عن النصوص الأخرى في الثقافة وتجعله يعلو عليها ويتفوّق"[2]. ومن بين الدارسين القدامى الذين تناولوا ظاهرة الانزياح في توظيف اللغة داخل بنية الخطاب نذكر الآتي:

1-الجاحظ (ت 255هـ):

عبّر الجاحظ في البيان والتبيين عن الانزياح بالغرابة والعجب فقال: "أنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أظرف، وكلّما كان أظرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع"[3].

نفهم من هذا النص أنّ الإبداع والتميّز عند الجاحظ يكمن في خروج الشيء عن أصله الى شيء آخر أبعد في الوهم، فكلّما لبس المعنى معنًى آخر غريب عنه؛ كلّما كان أبدع، وهذا هو الانزياح في مفهومنا الحالي بأنّه خروج عن المألوف في الاستعمال.

---

[1]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994م، ص268.

[2]- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط4، 1996م، ص137.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص89، 90.

ونجده أيضا قد عبّر عن الانزياح بالمجاز حيث قال فيه: "هو فخر العرب في لغتهم، وبأشباهه اتّسعت"، ويقصد بأشباهه جميع صور البيان من استعارة وكناية وتمثيل، التي من شأنها أن تنقل اللفظ إلى غير ما وضع له في اللغة فتحدث بذلك أثراً فنّياً رائعاً.

2- ابن قتيبة (ت 276هـ):

وغير بعيد عن رأي الجاحظ نجد بن قتيبة أيضا يعتبر المجاز انزياحا فيقول: "إنّ للعرب مجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه؛ ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد خطاب الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص"[1]

من خلال نص بن قتيبة يتبيّن إن التغيير الذي يحدثه المجاز ينتج انزياح تعبيري يأتي على صور مختلفة، وما المجاز عند العرب القدامى إلا انزياح عند المحدثين؛ لكونهما يلتقيان حول مفهوم واحد وهو تجاوز ما هو مألوف.

3-ابن جنّي (ت 392هـ):

عبّر بن جنّي عن الانزياح بمصطلح الاتّساع؛ ويظهر ذلك من قوله: "واعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف و الآخر بآخر؛ فإنّ العرب تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عزّ اسمه: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾؛ و أنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول: رفثت بها، أو معها؛

[1]- أبو محمد عبدالله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر،المكتبة العلمية، ط3، 1981م، ص20.

لكنّه لمّا كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء، وكنت تعدّى أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ (إلى) مع الرفث، إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه"[1]

فالاتّساع الذي تحدّث عنه بن جني هنا يلخّص معنى الانزياح بالمفهوم الحديث؛ أي خروج عن المتداول والمتوقّع لدى الناس إلى غير المألوف في التعبير، وذلك لإحداث الزعزعة لدى المتلقي و إدخاله في دائرة التفكير والتأمل.

ولقد أُعْتُبر الابتعاد عن المألوف في اللغة والخروج عن القوالب الجاهزة؛ شجاعة أطلق عليها بن جنّي؛ (شجاعة العربية)، حيث شبّه الشاعر الخارج عن الأنماط المتداولة بالفارس الذي يركب جوادا لا لجام له، فيقول في وصف هذا الشاعر: "... مثله في ذلك عندي مثل مجرى الجموح بلا لجام، و وارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام، فهو وان كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنّه مشهود له بشجاعته وفيض منّته"[2].

نفهم من هذا النص القصير أنّ الاعتداء الذي يرتكبه الشاعر في حقّ اللغة انّما هو شهادة له بالشجاعة والشهامة اللغوية، وبذلك قدّم شعره للقارئ في أبهى حلّة، فانفرد بأسلوبه الخاص عن غيره.

4-عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ):

لم يبتعد عبد القاهر الجرجاني عن رأي بن جنّي عندما عبّر عن الانزياح بمصطلح الاتّساع؛ ويظهر ذلك في حديثه عن الكناية والمجاز على اعتبار أنّ "...اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره ... اتّساعاً وتفنناً، لا إلى غاية إلاّ أنّه على اتّساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين؛ الكناية والمجاز ..."[3]

فالاتّساع الذي تحدّث عنه الجرجاني هو الغموض الذي يحدثه كل من المجاز والكناية والذي يعكس انزياح النص عن ظواهر الألفاظ وعن الاستعمال الشائع المألوف،

---

[1]- ابن جنّي، الخصائص، ص308.

[2]- المرجع نفسه، ص392.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص110.

فيكون بذلك نسيج من الإيحاءات تجعل المتلقي يدخل في صراع معها لمحاولة تفسير هذا الانزياح والوقوف على جوهره.

وممّا سبق يتّضح أنّ الاتّساع والمجاز يتساويان مع الانزياح في كونهما يلتقيان حول مفهوم واحد؛ وهو العبور باللغة من حيّز الوضع الأول إلى حيّز الوضع الثاني، مما يجعل الكلام فنّيا إبداعيا وذلك بهدف التأثير في المتلقي وشدّ انتباهه.

بعد هذه الجولة الحافلة في بطون التراث يمكننا الإجابة عن السؤال الذي قمنا بطرحه في البداية وهو أنّ ما تطرحه الأسلوبيات الحديثة اليوم بخصوص الانزياح ما هو إلاّ تطوّر للآراء والأفكار القديمة، وأنّ مثلما تعدّدت مسميات الانزياح في حقل الدراسات الأسلوبية في العصر الحديث، فقد سبق ذلك تعدّد مسمياته في الدراسات القديمة، فما الانزياح في حقيقته إلاّ مجاز بما يندرج في دائرته من تشبيه واستعارة وتمثيل في التراث القديم.

وإذا كانت هذه نظرة المحدثين الغربيين والعرب وكذا التراثيين لمفهوم الانزياح؛ فما هي أنواع هذا الأخير في الدرس الأسلوبي؟ وهذا ما سنحاول التعرّف عليه في العنصر الموالي.

ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي:

لعل ممّا يؤكد أهمية الانزياح أنّه لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النّص، بل يشمل أجزاء كثيفة متنوعة ومتعددة، فإذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات وجمل؛ فإنّ الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات وهذه الجمل[1]، وبذلك يكسب النص قيمة جمالية وينبّه على أسرار بلاغية كثيرة، ومن أجل ذلك صحّ أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح وهما: **الانزياح الاستبدالي**، والانزياح التركيبي[2]

1. الانزياح الاستبدالي (الانزياح الدلالي):

[1]– ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، جامعة حلب، ط1، 1426هـ– 2005م، ص111.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يمكننا أن نعرّفه بأنّه "الانزياح الذي يتعلّق بجوهر الوحدة اللغوية، فهو إعطاء اللفظ دلالة مجازية كإضافة ما ليس له إليه وبذلك يتّسم هذا النوع بالابتكار والجدّة والإثارة، وتمثّل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح"[1]؛ ونعني بها هنا الاستعارة المفردة حصرا، تلك التي تقوم على كلمة واحدة، تستعمل بمعنى مشابه لمعناها الأصلي ومختلف عنه، ويمكننا أن نصل من خلال هذا الانزياح إلى عمق المعنى الأصلي لأي جملة نسمعها؛ إذ يمكن إذابة كافة المعاني والكلمات التي يمكن أن تجعلنا نبتعد عن المعنى المقصود للقائل.

ومن أبرز من اهتم بالاستعارة درساً وتمحيصاً في عصرنا الحديث هو ريتشاردز (1893– 1979) الذي أفرد لها حيزا خاصا من كتابه "فلسفة البلاغة"، وكان مما ذكر في هذا الكتاب أنّ الاستعارة قد نظر إليها في تاريخ البلاغة على أنّها لعب بالألفاظ .. واعتُبرت جمالاً وزخرفاً أو قوة إضافية للغة لا على أنّها الشكل المكوّن والأساس لها، ومن ثمّ فإنّ **ريتشاردز** سينتصف للاستعارة مما حاق بها من حيف، فيعتبرها "المبدأ الحاضر في اللغة أبداً؛ فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أيّ حديث اعتباري سلس دون اللجوء الى الاستعارة"[2].

وقد لاحظ ريتشاردز أنّ النظرة التقليدية تحصر الاستعارة في أنماط قليلة، وتجعل الاستعارة مسألة لفظية؛ مسألة تحويل أو استبدال للكلمات، في حين أنها في الأساس استعارات وعلاقات بين الأفكار، وتنبغي الإشارة هنا إلى أنّ ريتشاردز هو فيما يبدو أوّل من أشار الى أنّ الأمر في الاستعارة لا يراد به الإبدال لقدر ما يراد به عملية التفاعل؛ ذلك بأنّ المعنى الأساسي في الاستعارة لا يختفي و إلاّ فلن تكون هناك استعارة؛ ولكنّه يتراجع إلى خط خلفيّ وراء المعنى الاستعاري، وهكذا تقوم بين المعنيين علاقة تفاعل وتماه، ومن خلال هذه العلاقة وهذا التفاعل يبرز المعنى الاستعاري.[3]

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص113.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص115.

وبهذا يخلص ريتشاردز إلى أنّ الاستعارة لا تنتج من المقارنة بين شيئين لمجرّد التشابه بينهما فحسب، وإنّما ينبغي أن يكون بينهما تباين واختلاف، بل إنّ هذا التباين والاختلاف هو في الغالب ما يمنح الاستعارة تأثيرها المتميّز، أمّا ذلك التوتر الذي ينتج من اقتران طرفين بعيدين فقد شبّهه ريتشاردز بالتوتر الناتج من قوس ذي طرفين متباعدين؛ إذ إنّ هذا التباعد هو السبب في قوة السهم المنطلق وسرعته[1].

وممّا يلاحظ من خلال حديثنا؛ أنّ الاستعارة قد استأثرت في هذا النوع من الانزياح معظم الانتباه، وكان الحظّ الأوفر لها، فغطّى ذلك على غيرها ممّا يمكن أن يدخل في باب هذا النوع كالكناية والتشبيه، بيْد أنّ الحقيقة هي أنّ التشبيه وإن أُعتُبر في البلاغة القديمة متضمناً في الاستعارة؛ إلاّ أنّه يظل أقل قيمة منها، ومن ثمّ فقد نظرت إليه البلاغة الجديدة على أنّه "استعارة مكشوفة مباشرة ومنقوصة"[2].

وخلاصة القول هيّ أنّ الانزياح الاستبدالي يمكننا من خلاله أن نصل الى عمق المعنى لأيّ جملة نسمعها، إذ يمكن إذابة كافة المعاني والكلمات التي يمكن أن تجعلنا نبتعد عن المعنى المقصود للقائل، و أنّ الاستعارة تمثّل خلاصة هذا النوع من الانزياح الذي يتعلّق بجوهر الوحدة اللغوية أو بدلالتها.

2.الانزياح التركيبي:

هذا الانزياح "يحدث من خلال طريقة في الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب والفقرة"[3]، هذه الطريقة تتمثّل في مخالفة الترتيب المألوف في النظام الجملي من خلال بعض الانزياحات المسموح بها في الإطار اللغوي، ممّا تسهم هذه المخالفة في إضافة أثر جمالي في النصّ وإحداث تنوّع دلالي كبير يعمل على إثارة المتلقي و إحداث الدهشة والمفاجأة لديه، فكل تركيب خرج عن القواعد النحوية المعتادة هو انزياح تركيبي؛ ويدخل ضمن هذا النوع كل من التقديم والتأخير؛ الذي يعتبر وثيق الصّلة بقواعد

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص116.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص119.

[3]- ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص120.

النحو، حتى إنّ كوهن سمى الانزياح الناتج من التقديم و التأخير بالانزياح النحوي، إذ يشير كوهن إلى إن الغاية من وراء هذا الانزياح تتمثّل في إبراز قيم جمالية وغاية فنيّة تعبّر عن شيء في النفس.

"وثمّة تغيران يدخلان ضمن الانزياحات التركيبية وهما الحذف والإضافة، إلاّ أنّهما لا يعدان انزياحا إلاّ إذا حقّقا غرابة ومفاجأة و حملا قيمة جمالية ما"[1]، وممّا له أن يدخل ضمن أشكال الانزياحات التركيبية؛ الانتقال من أسلوب الى آخر انتقالا مفاجئاً يستهدف إحداث تأثير فنّي.

وقد اهتمّ القدماء بالانزياح التركيبي لما له من أثر في التركيب اللغوي في النص، ومن أبرز هؤلاء عبد القادر الجرجاني الذي أولى جُلّ اهتمامه بهذا النوع، وعدّ العدول في الأسلوب ميزة كبيرة في الشعر، إذ يصبح أصلاً الفائدة، ومبعث الرقّة، وسبب الاستماع[2]، لذلك فإنّ المتكلم حين يخرج من الحدود المعيارية المطّردة ويلجأ إلى الانزياح التركيبي فإنّه يسعى الى أن يحقق هدفاً دلالياً لا يستطيع الاستعمال اللغوي العادي أن ينجزه، في حين أنّ هذا الأخير غرضه الإيصال والاتصال فقط، أمّا الخروج عن النظام المعتاد يحقق الوظيفة الإبداعية والجمالية.

وقد التفت الدارسون المحدثون الى الوظيفة الإبداعية التي يخلقها هذا النوع من الانزياح، إذ يرى سامح الرواشدة "أنّ الانزياح التركيبي لا يكسر قوانين اللغة المعيارية ليبحث عن قوانين بديلة ولكنّه يخرق القانون باعتنائه بما يعدُّ استثناءً أو نادراً فيه"[3].

وممّا تقدّم يتبيّن أنّ الانزياح التركيبي هو كسر للقواعد النحوية المألوفة، وذلك قصد إضافة أثر جمالي في النّص و إحداث تنوّع دلالي كبير يعمل على إثارة المتلقي و إحداث الدهشة والمفاجأة لديه.

1– ينظر: المرجع نفسه، ص125.

2– ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

3– سامح الرواشدة، فضاءات في الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر إربد، ط1، 1999م، ص53.

وما يعنينا في بحثنا هذا هو الوقوف على أهم مظاهر الانزياح بنوعيه (الاستبدالي و التركيبي) في النصّ القرآني والتي لها أثر واضح في إثراء الدلالة، والكشف عن قيمه وأسراره البلاغية، وسيتمّ رصد ذلك في الجانب التطبيقي من البحث ان شاء الله.

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نجمل ملخّص هذا الفصل في النقاط الآتية:

- ✓ أنّ السياق هو أولى المبادئ الأسلوبية؛ لأنّه يفرض على منشئ الخطاب طريقة معيّنة في الكتابة، فهو من الناحية اللغوية يعني التتابع والتتالي والتساوق والارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد، أمّا من الناحية الاصطلاحية فقد اختلف مفهومه بين الفكرين الغربي والعربي وتباين؛ فنظرات العلماء التراثيين العرب للسياق جاءت متفرّقة، تفتقر إلى تنظيم يجمعها في إطار نظرية متكاملة، و أنّ فكرة السياق عند الغرب لم تكن جديدة؛ و إنّما كانت استمرار لجهود الدرس اللغوي عند العرب.
- ✓ أنّ الدرس الأسلوبي اشتمل على نوعين من السياق؛ التناسقي والتنافري، أمّا الأول فهو الجوار المباشر للفظ قبله وبعده، أي هو السياق الأصغر، والثاني هو أكبر من الجوار المباشر للفظ كالجملة او الفقرة أو الخطاب، ونقصد به السياق الأكبر أو الإجرائي.
- ✓ أنّ مبدأ الاختيار يأتي في الدرجة الثانية بعد السياق، وهو الوجه الذي يستقر عليه الخطاب بعامة أو النصّ بخاصّة، فهو المعيار الفاصل بين الكلام الفني الجمالي وغير الجمالي، لذلك تُلحّ الأسلوبية على إبراز هذا المبدأ في كل عملية خلق فنّي، فالاختيار من الناحية اللغوية هو الاصطفاء، والايثار، والتفضيل، أمّا في الاصطلاح فقد ارتبط مفهومه -عند المحدثين الغرب منهم والعرب- بمفهوم الأسلوب، بل عُدّ الأسلوب ذاته عند البعض منهم، أمّا التراثيين العرب فلم يتمكنوا من اعطاء مفهوماً محددً للاختيار؛ إنّما كانت نظرتهم له عبارة عن آراء تكاد تتّفق حول أهمية الانتقاء والاختيار، حيث كانت تمثّل ميداناً للتنافس والتفاضل بين المبدعين.
- ✓ أنّ أنواع الاختيار في الدرس الأسلوبي تمثّلت في نوعين أساسيين وهما: الاختيار المحكوم بالموقف والمقام وهو اختيار نفعي يهدف إلى تحقيق هدف عملي محدد،

واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة؛ وهو الاختيار النحوي الذي تدخل فيه قواعد اللغة بمفهومها الشامل.

- ✓ أنّ الانزياح ميدانٌ خاصٌ للبحث والدراسة في الدراسات الأسلوبية، فهو خروجا عن المألوف في استعمال اللغة الى استخدام جديد، وتكمن وظيفته الرئيسة في عنصر المفاجأة التي تصدم المتلقي، وتشكّل الاثارة والدهشة لديه، فقد اتّفقت المعاجم اللغوية على أنّ معناه يكمن في البعد والنفاذ والانتقال من مكان إلى مكان آخر، بينما ارتبط مفهومه في الفكر الغربي والعربي الحديث بمفهوم الأسلوب الأدبي ذاته، حيث كان يقصد به؛ إخراج اللغة من دائرة المعاني المستهلكة إلى معاني جديدة مبتكرة، قصد الارتقاء باللغة العادية إلى مستوى الجمالية، أمّا في الفكر التراثي العربي فقد ارتبط الانزياح في حقيقته بالمجاز بما يندرج في دائرته من تشبيه واستعارة وتمثيل، وأنّ ما تطرحه الأسلوبيات الحديثة اليوم بخصوص الانزياح ما هو إلاّ تطوّر للأراء والأفكار القديمة.
- ✓ أنّ أنواع الانزياح في الدرس الأسلوبي تلخّصت في نوعين وهما: الانزياح التركيبي الذي يتمثّل في مخالفة الترتيب المألوف في النظام الجملي، وكذا الانزياح الدلالي الذي يتعلّق بجوهر الوحدة اللغوية، فهو إعطاء اللفظ دلالة مجازية، إذ يمكننا من خلاله أن نصل الى عمق المعنى لأيّ عبارة نسمعها.

وبعد هذه النظرة التي ألقيناها على مبادئ الدراسة الأسلوبية من الناحية النظرية، سنحاول في الفصل القادم تطبيق هذه المبادئ وإسقاطها على سورة "ص" قصد إبراز التشاكل الذي أحدثته هذه المبادئ مجتمعة لخلق النظام البنائي والفني للسورة، ومن ثمّ الكشف عن أهم السّمات الأسلوبية التي تضمّنتها هذه المبادئ، والتي جعلتنا نختار سورة "ص" دون غيرها من سور القرآن الكريم.

الفصل الثاني

تجليات المبادئ الأسلوبية في سورة "ص"

I. أثـــر السياق

II. أثـــر الاختيار

III. أثـــر الانزياح

I. – أثر السياق

تهتم الأسلوبية برصد الخصائص الكليّة والجزئية المميّزة لكل نصّ إبداعي، فهي تحيط برقعة اللغة كلّها، إذ أنّ جميع الظواهر اللغوية ابتداء من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيباً، هي فضاء جدير بالدراسة والاكتشاف، وعند اختيار النصّ الابداعي لا نستطيع أن نحدد جودته ما لم يكن ممتلكاً الظواهر اللغوية اللافتة فيه، ولسورة "ص" جوانب فنيّة وأسرار خفيّة تميّزها عن غيرها من سور القرآن الكريم، وسنحاول في هذا الفصل ابراز الظواهر الأسلوبية التي تجسّدها مبادئ الدراسة الأسلوبية.

والمخطط التالي يعطي صورة مجملة لما سنتطرّق إليه في هذا الفصل:

تجليات المبادئ الأسلوبية في سورة "ص"		
أثر السياق	**أثر الاختيار**	**أثر الانزياح**
السياق التناسقي	**الاختيار التركيبي**	**الانزياح التركيبي**
1.السياق النسقي 2.السياق الصوتي	1.أسلوب التكرار 2.بنية الاستفهام	1. ظاهرة التقديم والتأخير 2. ظاهرة الحذف 3. ظاهرة الالتفات
السياق التنافري	**الاختيار الصوتي**	**الانزياح الدلالي**
❖ الإطار القصصي	❖ جرس المفردة	1. الاستعارة 2. التشبيه 3. الكناية

أولا: السياق التناسقي:

نحاول في هذا المطلب أن نبيّن أثر السياق في سرد أحداث سورة "ص"، ونظم موضوعاتها، هذا النوع من السياق الذي يتحكّم في نسج تراكيب السورة، وسبك جملها، وانسجام آياتها ليؤدي بذلك الرسالة المنوطة في إطار عملية التواصل بين الباث والمتلقي، ويتجسّد هذا الأثر في كل من السياق النسقي للسورة، وكذا السياق الصوتي لها.

1. السياق النسقي:

عرفنا فيما سبق أنّ السياق هو إطار عام تنتظم فيه عناصر النصّ ووحداته اللغوية، ومقياس تتصّل بوساطته الجمل فيما بينها لتوافق مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النصّ للقارئ. والسياق القرآني يختلف عن أيّ سياق آخر؛ وذلك أنّه مُكَوّن من أربع دوائر وهي: سياق القرآن، سياق السورة، سياق المقطع، سياق الآية، وهذه الانواع الأربعة مؤتلفة إئتلافا لا نجد بينها تعارضا، بل إنّها متكاملة تكاملا لا نكاد الفصل بينها.

وسنحاول في مقامنا هذا التركيز على السياق النسقي لسورة "ص" الذي من خلاله يمكننا الإطّلاع على مضمون السورة كلها، وكذا سنرى مدى توافق موضوعات السورة وتناسق بعضها ببعض.

بداية نشير إلى أنّ سورة "ص"؛ هي "سورة مكّية تعالج ثلاث قضايا أساسية وهي: قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب والعقاب"[1]، وهذه القضايا الثلاث لا يمكننا الفصل بينها إلاّ عند الدراسة، لأنّها تتشابك مع بعضها تشابكاً تاماً تحت موضوعاً واحداً وهو التذكير بوحدانية الله تعالى، ومن خلال دراستنا للسورة؛ وجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى عرض هذه القضايا في أربعة مقاطع؛ يُكمل كل واحد منها الآخر، والمخطط التالي يوضّح ذلك:

[1]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج5،ج23، ص3004.

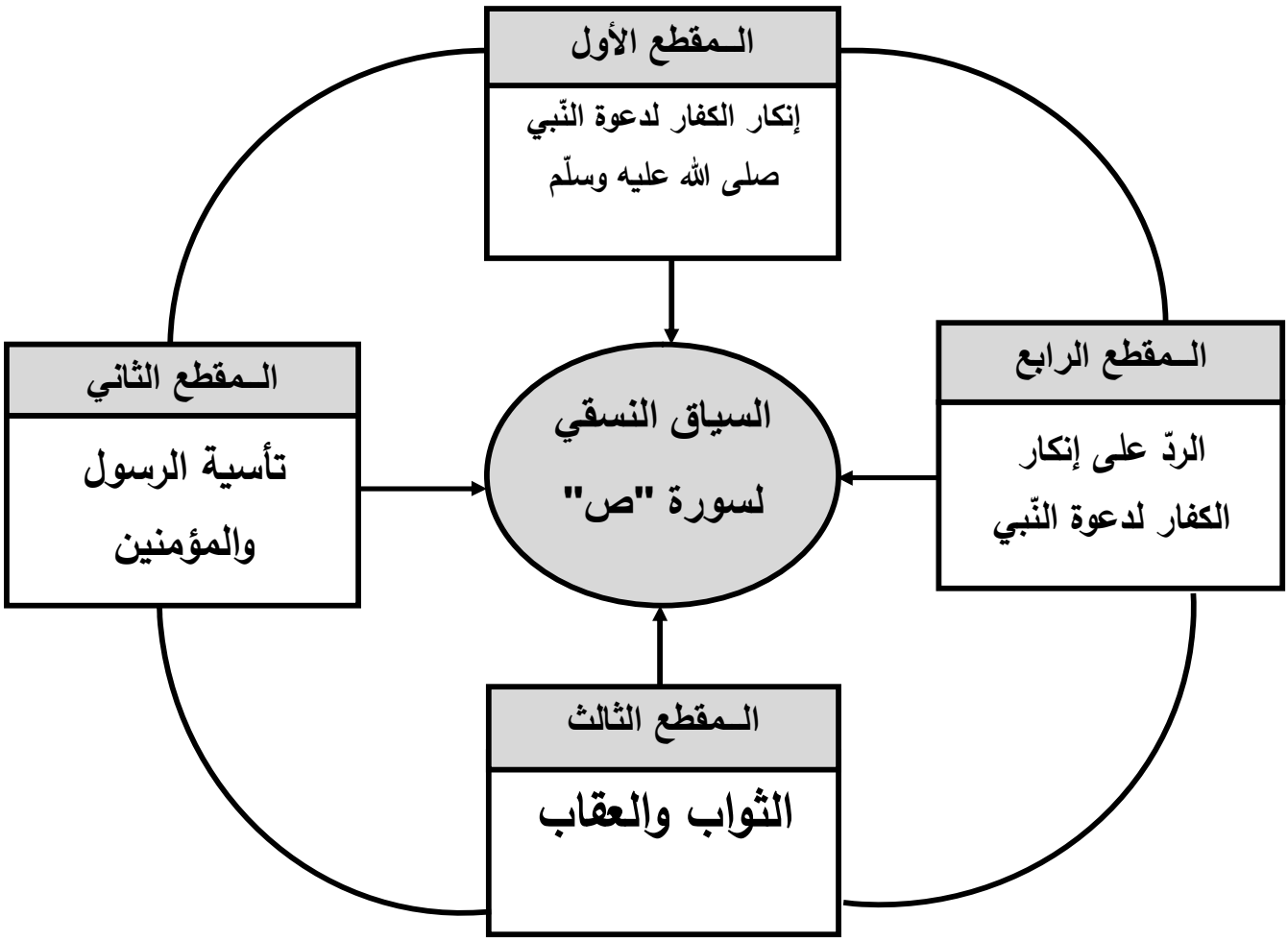

مخطط السياق النسقي لسورة "ص"

وفيما يلي سنقوم بشرح المخطط، حيث نبدأه بـ:

أ- **المقطع الأول:**

يصوّر لنا هذا المقطع مشهد الدهشة والاستغراب والمفاجأة التي تلقى بها كبار المشركين في مكة دعوة النبي ﷺ لهم إلى توحيد الله[1] ؛ وإخبارهم بقصة الوحي واختياره رسولاً من عند الله، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥

[1]- ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج5،ج23، ص3009

وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾[1]، فقد استكثروا أن يختار الله – سبحانه– رجلاً منهم، لينزل عليه الذكر من بينهم، وأن يكون هذا الرجل هو محمد بن عبد الله، الذي لم تسبق له رياسة فيهم ولا إمارة"[2]، لذلك عقّب الله على استكثارهم هذا واستنكارهم بقوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠﴾[3] ، اي ليقول لهم أنّ الله يفتح رزقه ورحمته على من يشاء، و أنّه يختار من عباده من يعلم استحقاقهم للخير، وينعم عليهم بشتّى الإنعامات بلا قيد ولا حدٍّ.

ب– المقطع الثاني:

يبدأ المقطع الثاني بما انتهى به سياق المقطع الأول، حيث كان الله سبحانه يبيّن للمشركين أنّه هو المالك، وبيده مقاليد السموات والأرض، يعطي لمن يشاء، ويمنع فضله عمّن يشاء، ففي هذا السياق جاءت قصّتي داود وسليمان –عليهما السلام– وما أغدق الله عليهما من النبوّة والملك، ومن تسخير الجبال والطير، وتسخير الجنّ والريح، وهما – مع هذا كله– من البشر، يدركهما ضعف وعجز البشر فتتداركهما رحمة الله ورعايته، وتسدد ضعفهما وعجزهما، وتقبل منهما التوبة والإنابة، وتسدد خطاهما في الطريق إلى الله.

وقد جاء مع القصّتين توجيه النبي ﷺ إلى الصبر على ما يلقاه من المكذّبين، والتطلّع إلى فضل الله ورعايته كما تمثّلها قصتي داود وسليمان ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

---

[1]– ص، الآيات 4– 8.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3005.

[3]– ص، الآيتان 9، 10.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾[1]، كذلك جاءت قصّة أيوب تبيّن ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضرّاء، وصبر أيوب، وتصوّر حسن العافية، وتدراكه برحمة الله[2]، والفكرة العامة لهذا الشوط تتحدث –كما هم مبيّن في المخطط السابق– عن مواساة وتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين، عمّا كانوا يلقونه من الضراء والبأساء في مكّة، وتوجيهٍ إلى ماوراء الابتلاء من رحمة تفيض من خزائن الله عندما يشاء، وهذا المقطع –تقريبا– شغل حيزاً كبيراً في السورة.

ج– المقطع الثالث:

وبعد القصص التي تمّ عرضها في المقطع السابق، والتي كانت عبارة عن تأسية للنبي ﷺ وللمؤمنين من الظلم والاضطهاد الذي لاقوه من الكفّار، يعرض الله سبحانه في هذا الشوط مشهد من مشاهد يوم القيامة؛ حيث يصوّر فيه النعيم الذي ينتظر المتّقين، والجحيم الذي ينتظر المكذّبين، ويكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين هؤلاء وهؤلاء، فسيكون للمتقين حسن مآب ﴿جَنَّٰتٍ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢﴾[3]، أمّا الطغاة فلهم شرّ مآب ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨﴾[4]، ثمّ يصوّر الله مخاصمة المشركين الطاغين في جهنّم، وكيف كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ

---

[1]– ص، الآية 17.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3005.

[3]– ص، الآيتان 50، 51.

[4]– ص، الآيات 56– 58.

﴿ ﴾[1]، فهم لا يجدونهم في جهنّم وقد عرفوا أنّهم هنالك في الجنان، وهذا الشوط هو إجابة لاستعجالهم بالقضاء والحساب ولاستهزائهم بالنبي والمؤمنين.

د- المقطع الرابع:

في المقطع الأخير يردّ الله على المشركين الذين رأيناهم في الشوط الأول عندما استنكروا أمر الوحي الذي أخبرهم به النبي ﷺ؛ حيث صوّر لنا الله هذا الردّ في قصّة آدم -عليه السلام- في الملأ الاعلى، حيث لم يكن النبي ﷺ حاضراً، إنّما هي إخبار من الله له بما كان، مما لم يشهده انسان، وفي ثنايا القصّة يتبيّن أنّ الذي أردى ابليس، وذهب به إلى الطرد واللعنة، كان هو "حسده لآدم عليه السلام، واستكثاره أن يؤْثره الله عليه ويصطفيه، كما أنّهم هم يستكثرون على محمد ﷺ أن يصطفيه الله من بينهم بتنزيل الذكر"[2]، ففي موقفهم شبه واضح من موقف ابليس المطرود اللعين، ويختم الله سياق المقطع الأخير بقول النبي ﷺ لهم أنّ ما يدعوهم إليه لا يتكلّفه من عنده، ولا يطلب عليه أجرا، وأنّ له شأن عظيم سوف يتجلّى بعد حين، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾[3].

مما سبق يمكننا أن نرى انّ موضوعات سورة "ص" تلخّصت في مقاطع أربعة؛ هذه المقاطع التي تجول بالقلب البشري في مصارع الغابرين الذين طعنوا وتجبّروا واستعلوا على الرسل والمؤمنين، ثم انتهوا إلى الهزيمة والدمار والخذلان، فهذه المقاطع جاءت مؤتلفة إئتلافاً محكماً لاتعارض فيها؛ كل مقطعٍ يستلزم المقطع الذي يليه؛ فإنكار الكفّار لدعوة النبي ﷺ وصدّهم له؛ أحدث بذلك حزناً في نفسه، هذا الحزن الذي ألمّ به أدّى إلى ضرورة تأسيته لبثّ السكينة في فؤاده وتثبيته على طريق الحق لنشر الرسالة التي بُعِث من أجلها؛ فكان حقّ السياق أن يجيء بالمقطع الثاني مواليًا للمقطع الأول، لإحداث التناسق بين أحداث السورة،

---

[1]- ص، الآيات 62- 64.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3006.

[3]- ص، الآيات 86- 88.

وبما أنّ موضوع السورة هو التذكير؛ أي تذكير الكفّار بالعقاب يوم القيامة نتيجة إعراضهم عن دعوة النبي ﷺ، وتذكير المؤمنين بالثواب والأجر الكبير الذي سيجزيهم به الله عندما صدّقوا دعوة النبي ﷺ؛ فجاء السياق بالمقطع الثالث الذي يتمحور حول الثواب والعقاب، هذا المقطع الذي كان متناسقاً ومنسجماً مع ما تقدّم من أحداث سبقته، وبعد مواساة الرسول ﷺ، وتثبيته جرّاء ما لقيه من إنكار المشركين له، وبيان المصير الذي سيؤول إليه هؤلاء المكذبين الطاغين؛ فما كان من الله سبحانه وتعالى إلاّ أن يردّ على إنكارهم وصدّهم لدعوة نبيّه بالحجج والبراهين القاطعة؛ هذه الأخيرة التي تمثّلت في المقطع الرابع من سورة "ص" كما أسلفنا الذكر.

فهذه المقاطع الأربعة أسهمت في تشكيل النظام البنائي للسورة ومن ثَمَّ سياقاً تناسقياً محكماً أدّى الرسالة المنوطة به في إطار عملية التواصل بين الباث والمتلقي.

وإذا كان هذا أثر السياق النسقي في السورة؛ فما هو أثر السياق الصوتي فيها؟ والذي تعاضد هذا الأخير مع السياق الأول لإبراز السياق التناسقي الكلي للسورة، وهذا ما سنتعرّض له في العنصر الموالي.

2. السياق الصوتي: تجسّد أثر هذا السياق في السورة من خلال:

- **جرس الفاصلة:**

تُعد الفاصلة القرآنية وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، وقد عنى القرآن الكريم بها لما لها من تأثير كبير في النفوس وإمالتها لتقبّل المفاهيم والمعاني التي جاء بها، وقد عرّفها الدكتور فضل عباس بأنّها "ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سمُّوا ما خُتم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما خُتمت به الآية الكريمة فاصلة"[1]، وقد يقصد بها الحرف الأخير من من هذه الكلمة، فالفواصل إذاً هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب صيغ النطق بها.

[1]– فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، اعجاز القرآن الكريم، ص225.

وقد "ارتبطت الفاصلة بالسياق الدلالي للآية، وقد أفضى هذا الربط إلى مقولة التناسب والانسجام بين الفاصلة والآية من حيث المعنى والمقام"[1]، وهذا ما يميّزها عن قافية الشعر وسجع النثر؛ أنّها لا يغني غيرها عنها.

وقد تنوّعت الفواصل في سورة "ص" تنوعاً أسهم في تطوير أسلوب التعبير، وحقّق عنصر الإثارة والتشويق وأبعد طابع الملل والرتابة، والجدول الآتي يبيّن توزّع فواصل السورة وتنوّعها حسب السياق الذي ترد فيه واستناداً إلى حرف الروي:

حرف الروي		كلمات الفاصلة	عدد ورود حرف الروي
ب		كذاب، عجاب، عذاب، الوهاب، الأسباب، الأحزاب، الأحزاب، عقاب، الحساب، أواب، أواب، الخطاب، المحراب، الخطاب، أناب، مآب، الحساب، الألباب، أواب، الحجاب، أناب، الوهاب، أصاب، شراب، حساب، مآب، عذاب، شراب، الألباب، أواب، مئاب، الأبواب، شراب، أتراب، الحساب، مئاب.	36 مرة
ر		الذكر، النار الفجار، الأبصار، الدار، الأخيار، الأخيار، النار، القرار، النار، الأشرار، الأبصار، النار، القهار، الغفار.	15 مرة
ن	ين	مبين، طين، ساجدين، الكافرين، العالين، طين، الدين، المنظرين، أجمعين، المخلصين، أجمعين، المتكلفين، العالمين، حين.	14 مرة
	ون	معرضون، يختصمون، أجمعون، يبعثون.	4 مرات
ق		شقاق، اختلاف، فواق، الإشراق، الأعناق، غساق.	6 مرات

[1]– عمر عتيق، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، بحث مقدّم إلى المؤتمر الدولي الأوّل في اللغويات (الدرس الصوتي وتطبيقاته على اللغة العربية)، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 8 ذو القعدة 1429هـ، 6 نوفمبر 2008م.

د	يراد، الأوتاد، الجياد، الأصفاد، نفاد، المهاد.	6 مرات
م	عظيم، رجيم، المعلوم.	3 مرات
ص	مناص، غواص.	2 مرات
ج	أزواج	مرة واحدة
ط	الصراط	مرة واحدة
ل	أقول	مرة واحدة

عند النظر إلى الفواصل القرآنية لسورة "ص" نجد أنّها جاءت بحروف مختلفة؛ و أنّ أغلبها أُقيمت على حرف مفتوح بعده ألف مدّ ما بعدها حرف كما هو مبيّن في الجدول؛ وهذه الصيغة تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، وتفاعل الوجدان معها مترقباً الأحداث، والمفاجآت، والنتائج المجهولة، فالشكل التركيبي للفاصلة يتوافق تماماً مع سياق الآيات في السورة، فكما عرفنا سابقاً أنّ هدف سورة "ص" هو الرد على إنكار المشركين على تكذيبهم لدعوة الرسول وتكبّرهم عن قبول الحقّ، ووصف استغرابهم الشديد لأمر الرسالة التي اختصّ الله بها غيرهم؛ فقد جاء المدّ في هذه الفواصل ليشارك حالة التضجّر من صنيعهم، و لإثارة انتباههم لأمر الوحي والحساب، وكما أنّ الإنسان يمدّ صوته أثناء التضجّر والحسرة؛ فقد جاءت فواصل هذه السورة بالمدّ لتصوّر لنا حالة الدهشة والاستغراب والإنكار بالنسبة للمشركين.

ولكن الحرف الذي أخذ المساحة الكبرى في فواصل هذه السورة هو **(حرف الباء)** في ستٍ وثلاثين موضعاً، ويتّصف هذا الحرف بأنّه "صوت شفوي انفجاري مجهور عند النطق به يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً عند الشفتين، إذ تنطبق الشفتان انطباقاً كاملاً، ويضغط الهواء مدة قصيرة من الزمن، ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء فجأةً من الفم محدثاً

صوتاً انفجارياً، ويتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء النطق"[1]، فحرف الباء في فواصل السورة جاء ليبعث السكينة والطمأنينة والراحة في قلب النبي ﷺ من هول ما رآه من صدّ المشركين له وتكذيبهم إيّاه، وأنّ الله تعالى يخبره بأنّ هذا الإنكار والإعراض لن يدوم طويلاً بل سنبشّرك بالنّصر كما نصرنا الأنبياء من قبلك، ثم نجازي المقربين بحسن القربى، أمّا المعرضين المشركين فسأفجّر عنهم غضبي وعذابي يزم القيامة، ويكونون من أصحاب الجحيم.

ويأتي في المرتبة الثانية للحرف من حيث الحضور في الفواصل القرآنية للسورة **(حرف النون)** الذي جاء في المقطع الرابع من السورة في ثمانية عشر موضعاً، وقد جاء حرف النون على صورتين؛ حيث سُبق مرة بـ(الواو) وأخرى بـ(الياء)، وصوت النون "أسناني لثوي أنفي مجهور تصاحبه غُنّة شجية تطرب لها الأذن، وتميل إليها النفس، لذلك يكثر دخوله في التراكيب تطريباً وتشجية"[2]، ولأنّه صوت يتّصف بالغُنّة فهذا ما يزيد من الإثارة النطقية والتنبيه والتدبّر فيما يعرضه الله – عز وجل– في محكم تنزيله خاصة إذا سُبق هذا الصوت بحركة طويلة الواو أو الياء، لذا نجد أنّ هذه الميزات الصوتية لهذا الحرف، تتناسب مع سياق السورة التي تتحدث في هذا المقطع عن التكبّر والعصيان الذي أظهره الكفار للرسول ﷺ، فأراد الله أن يثير انتباههم، ويدفعهم إلى التدبّر في قضيتهم هذه والتي شبّهها لهم بالملأ الأعلى، حيث "بدت من ابليس نزعة كانت كامنة في جبلته وهي نزعة الكبر والعصيان، ولم تكن تظهر منه قبل ذلك، لأنّ الملأ الذي كان معهم كانوا على أكمل حسن الخلطة، فلمّا طرأ على ذلك الملأ مخلوق جديد و أُمر أهل الملأ الأعلى بتعظيمه كان ذلك مورياً زناد الكبر في نفس ابليس فنشأ عنه الكفر بالله وعصيان أمره"[3]، كما أنّ لهذا الصوت أثره في الفواصل الخاصة بـ (معرضون، يختصمون، الكافرين، ساجدين، المخلصين)، لأنّ الصدى النفسي لهذا الحرف له وقعه ودويه في النفس البشرية، لذا جاءت هذه الفواصل

---

[1]– كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص248.

[2]– عزّ الدين السّيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، ط1، 1978م، ص15.

[3]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص301.

متناغمة لتظهر التشابه الكبير بين اعراضهم عن دعوة النبي ﷺ وعدم امتثال ابليس لأمر الله سبحانه وتعالى.

وفي المرتبة الموالية لحرف النون من حيث توزّع الفواصل في سورة "ص"، يظهر لنا **(حرف الراء)** الذي ورد خمسة عشر مرة في فواصل السورة، وهو "صوت لثوي تكراري، مجهور منفتح"[1]، حيث يجعل الجهاز السمعي ينجذب إليه بفعل إعادة القالب الصوتي الأخير الذي يحمل رنيناً محبباً إلى النفس، مع تنبيه نفسي وعقلي لما يجري من أمور، فقد جاءت هذه الفواصل منسجمة مع الآيات التي فيها حرف الراء، حيث وصف الله تعالى الحال الذي سيؤول إليه كل من المتقين المخلصين، والضالين المكذبين يوم القيامة، و أنّ الثواب الذي سيجزي به المحسنين، والعقاب الذي سيلقاه المكذبون؛ إنّما هو حال دائم بلا زوال ومتكرر بلا انقطاع، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ ﴾[2]، وفي المقابل قوله – عز وجل– عن الضالين المكذّبين ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١ ﴾[3]، فحرف الراء في فواصل هذه الآيات الأخيرة ساعد في إثارة مشهد تخاصم أهل النار مع إعطائه مزيداً من الحركة والقوة.

---

[1]– صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مكتبة العربي الحديث للنشر، الاسكندرية، دط، دت، ص143.

[2]– ص، الآيات 45– 48.

[3]– ص، الآيات 59– 61.

وفي دائرة توافق سياق الفاصلة مع آيات السورة، يبرز **(حرف القاف)** الذي كان له وقعه وحضوره الخاص في فواصل السورة، وهذا "الصوت كما أظهره علماء الأصوات هو صوت يتميّز بأنّه لهوي انفجاري مهموس"[1]، وله مكانته على مستوى القرآن الكريم، فقد أفرد الله – عز وجل– له سورة خاصة به، حيث نجد مفردات هذه الفواصل القرآنية لسورة "ص" تتحدّث بشكل عام عن الخصومة والاختلاف في الرأي، وعن جزاء هذا الاختلاف والصّد، فيظهر ذلك في الفواصل (شقاق، اختلاق، فواق، غساق)، وهي صورة مصغّرة لحال هؤلاء المكذبين في الدنيا ومصيرهم في الآخرة، وهي في مجملها منبهات عقلية ونفسية تطلب من الانسان أن يقف موقف التفكّر والتدبّر، وأن يعيد حساباته مع الله عزو وجل.

ولقد كان لـ **(حرف الدال)** حضوراً ملحوظاً في فواصل السورة والذي يوصف بأنّه "صوت أسناني لثوي انفجاري"[2] له وضعه الخاص الذي انسجم مع سياق الآيات في الردّ على المشركين في ادّعائهم وتشكيكهم في وحدانية الله – عز وجل– وعظمته وقدرته.

أمّا **(صوت الميم)** فقد كان له وقعاً مميزاً في فواصل سورة "ص" رغم وروده بشكل ضئيل مقارنة بالأصوات الأخرى السابقة التي ذكرناها، "وصوت الميم شفوي أنفي مجهور، تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به"[3]، يتميّز بالوضوح السمعي، وهذه الصفة الصوتية تجعل من فاصلة الميم –للآيات القرآنية التي التزمت فيها– فاصلة تلائم الموقع والموقف والمناسبة التي وضعت فيها، حيث عبّرت في السورة عن شحنات يسودها الغضب والتهديد لإبليس الذي كفر وصدّ عن الإمتثال لأمر الله عندما أمره بالسجود لآدم – عليه السلام– ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧**﴾[4] ،﴿ **قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١**﴾[5].

---

[1]– كمال بشر، علم الأصوات، ص276.

[2]– المرجع نفسه، ص250.

[3]– المرجع نفسه، ص348.

[4]– ص، الآية 77.

[5]– ص، الآيتان 80، 81.

بعد ذلك نجد تنوّعاً صوتياً لفواصل السورة، حيث شملت أصوات (**الصاد، الجيم، الطاء، اللام**)، كل ذلك حتى يؤدي كل صوت دوره في بناء هيكل السورة وخدمة دلالتها و اعجازها.

ومما تقدّم ذكره يمكننا القول أنّ فواصل سورة "ص" تُعدّ مقاطع صوتية تامّة شكّلت سنفونيات موسيقية تناغمت بشكل ايقاعي مع مضمون الآيات، فقد راعت معنى الكلام ودلالته قبل ألفاظه ومبانيه، وقد أسهمت مع السياق النسقي في خلق السياق التناسقي للسورة، ومن ثَمَّ التأثير في نفس السامع، وشدّ اهتمامه وحشد ذهنه كاملاً لتدبّر معاني هذه السورة الكريمة.

وإذا كان هذا أثر السياق التناسقي في سورة "ص"؛ فماهو أثر النوع الثاني من السياق في السورة، والمتمثّل في السياق التنافري؟ وهذا ما سيتم الإجابة عنه في العنصر الآتي:

ثانياً: السياق التنافري:

عرفنا في الفصل الأول أنّ التنافر الذي نقصده في هذا النوع من السياق هو التضاد الذي يحدث داخل الأسلوب؛ والذي بدوره يعمل على تشكيل عنصر المفاجأة الذي يحل محل الاتساق والانسجام المعنوي الذي يفرضه السياق التناسقي التركيبي؛ ويمكننا تجسيد أثر السياق التنافري في سورة "ص" من خلال السياق القصصي.

- الإطار القصصي

عندما نتتبّع سورة "ص" نجد أنّ المساقات فيها تختلف باختلاف الحال والأحوال والموقف والمقام، وأنّها تركّبت من العديد من الأنماط التعبيرية التي تشترك في بنية كبرى تجمعها، إذ نجد أنّ القصص التي وردت في السورة قد شغلت أكبر مساحة فيها، وأدّت دوراً كبيراً في فاعلية تحريك أحداثها، فقد امتزج هذا السياق القصصي بموضوع السورة امتزاجاً عضوياً لا مجال للفصل بينهما، كل هذا يرجع إلى دقّة السياق الذي عمل على انسجام هذه البنيات الصغرى واتّحادها لتصبّ في قالبٍ واحدٍ هو البناء الكلي لسورة "ص".

و إذا أردنا أن نضبط السياق القصصي لهذه السورة فسنجده يتركّب من أربع قصص وهي كالتالي: قصّة داود، قصّة سليمان، قصّة أيوب ، قصّة آدم مع ابليس؛ وقد أورد الله سبحانه هذه القصص عندما أمر رسوله بالصبر على أذى المشركين، فأراد أن يذكره بقصص بعض الأنبياء الذين حدث لهم من المشاقّ والأذى مثل ما حدث له، "فصبروا حتى فرّج الله عنهم، و أحسن عاقبتهم ترغيباً له في الصبر وإيذاناً ببلوغه ما يريد، كما كان ذلك عاقبة من قبله"[1]، كما أنّ هذه القصص وردت لتعرض "آثار رحمة الله بالرسل وما أغدق عليهم من نعمة وفضل، وما آتاهم من ملك وسلطان ومن رعاية وإنعام، كم تُصوّرُ رعاية الله الدائمة لرسله، وحياطتهم بتوجيهه وتأديبه، فقد كانوا بشراً بما فيهم محمداً ﷺ، وكان فيهم ضعف البشر، وكان الله يرعاهم فلا يدعهم لضعفهم، وإنّما يبيّن لهم ويوجّههم، ويبتليهم ليغفر لهم ويكرمهم"[2]، وفي هذا ما يطمئن قلب الرسول ﷺ على رعاية الله له، وحمايته وحياطته في كل خطوة يخطوها في حياته.

وفيمايلي سنعرض لكل قصّة على حدة؛ حتى يتسنّى لنا معرفة الرابط الذي جمع هذه القصص في سياق واحد وقالب موحّد وهو سورة "ص"، وكذا إبراز التنافر الذي حدث في السياق القصصي والذي أحدث عنصر المفاجأة، وسنبدأ أولا بـ:

1. **قصّة داود عليه السلام:**

حيث تبدأ قصّته بقوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝٢٠﴾[3]، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ الله تعالى ابتدأ بذكر قصّة داود – عليه السلام– لأنّه أعطاه ملكاً وسلطاناً لم

---

[1]– أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج23، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده للطباعة، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م، ص105.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3005.

[3]– ص، الآيات 17– 20.

يكن لآبائه، ففي ذكره "إيماء إلى أنّ شأن محمد ﷺ سيصير إلى العزّة والسلطان، ولم يكن له سلف ولا جند، فقد كان حاله أشبه بحال داود عليه السلام"[1]، حيث وصفه الله بأنّه ذا قوّة وسلطان، ولكنّه كان أوّاباً رجّاعاً إلى ربه بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار، ومع النبوّة والملك آتاه الله من فضله قلباً ذاكراً وصوتاً رخيماً، يرجع به تراتيله التي يمجّد فيها ربّه، اضافة إلى الجبال والطير التي تسمع نغماته وترجع معه أناشيده، فكانت هذه هبة فوق الملك والسلطان، مع النبوّة والحكمة، ومع هذا كلّه فقد تعرّض للابتلاء والفتنة؛ التي مثّلها سياق السورة في قضية الخصمين التي تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، إلاّ أنّ عين الله كانت ترعاه وتقود خطاه، وكانت يد الله معه تكشف له ضعفه و خطأه، وتوقيه خطر الطريق وتعلّمه كيف يتوقّاه.

وبذلك نستطيع القول بأنّ الله – عز وجل– أورد قصّة داود – عليه السلام– لتسلية الرسول ﷺ و تبشيره بالنصر ولبثّ السكينة في فؤاده والطمأنينة في نفسه، فقد جاءت هذه القصّة منسجمة مع سياق السورة انسجاماً أدّى إلى زيادة عامل الربط بينها وبين الآيات التي قبلها، حيث لا نشعر بحدوث قطع في السياق أثناء قراءتنا للسورة، فجاءت بذلك متناسقة مع المعنى والهدف الذي ترمي إليه السورة.

وبعد عرض قصّة داود – عليه السلام– يمضي السياق ليعرض القصة الثانية ألا وهي:

2. قصّة سليمان عليه السلام:

جاءت قصّة سليمان بعد الحديث عن داود وما منّ الله به عليه من النعم، فيمضي السياق يعرض نعمة أخرى على داود في ولده سليمان، فكانت هذه القصّة كالتكملة للقصّة السابقة و إتماماً لما أنعم الله به على داود، إذ أعطاه الله سليمان ابناً وبهجةً لع في حياته وورث ملكه بعد مماته، كما أنبأ عنه سياق القصة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، الدار التونسية للنشر، دط، دت، ص226.

نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾﴾[1]، ولهذا لم تُفتتح قصّة سليمان بعبارة (واذكر) كما افتتحت قصّة داود؛ و لأنّ حال سليمان لم يكن يشبه حال الرسول ﷺ لذلك كان ذكر قصّته هنا عبارة عن "مكرمة عظيمة لداود – عليه السلام– ومغفرة له من الله على تلك المخالفة التي ارتكبها عندما تزوّج امرأة غيره – أوريا– فوهبه الله سليمان نبياً وملكاً عظيماً"[2].

ومن المواصفات التي وصف الله بها سليمان – عليه السلام– في هذه السورة أنّه (أواب) أي كثير الرجوع إلى الله في جميع أحواله بالإنابة والمحبّة والذكر والدعاء والتضرّع والإجتهاد في مرضاة الله وتقديمها على كل شيء، لهذا عرض سياق القصّة الفتنة التي فتنه الله بها والمتمثّلة في "الخيل الجياد التي عُرضت عليه فألهته عن صلاة المساء وذكره، حتى غابت الشمس في الحجاب"[3] ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾[4]، لذلك قال ندماً على ما ظهر منه ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾[5]؛ "عندها شرع يمسح الخيل مسحاً بسوقها و أعناقها وجعلها مسبلة في سبيل الله جزاء ما اشتغل بها عن الصلاة"[6].

ويخبرنا سياق القصّة عن الفتنة الثانية التي تعرّض لها سليمان – عليه السلام– ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[7]، فقد ابتلاه الله بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية؛ "فجعل الله على كرسيّه شيطاناً يتصرّف

---

[1]– ص، الآية 30.

[2]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص253.

[3]– عبد الرحمان ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، ج23، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م، ص712.

[4]– ص، الآية 31.

[5]– ص، الآية 32.

[6]– محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج17، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م، ص204.

[7]– ص، الآية 34.

في ملكه مدّة فتنته، إلى ان تاب ورجع إلى الله، وطلب المغفرة منه، فردّ الله عليه ملكه وزاده ملكاً لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له والريح تجري بأمره ويتصرّف فيها كيفما شاء"[1]، ثمّ زاد على هذا كلّه انّ له عند ربه قربى في الدنيا وحسن مآب في الآخرة، وتلك درجة عظيمة من الرعاية والرضى والإنعام والتكريم.

ثمّ يمضي بنا السياق مع قصّة الابتلاء والصبر والإنعام والإفضال مع القصّة الثالثة وهي:

3. قصّة أيوب عليه السلام:

وقد جاءت هذه القصّة كذلك في معرض تسلية الرسول ﷺ وتذكيره بابتلاءات الرسل من قبله وصبرهم على ذلك، حيث ابتلى الله سيدنا أيوب بذهاب الأهل والمال والصحّة جميعاً، ولكنّه طلّ على صلته بربه وثقته به ورضاه بما قسم له، فصبر صبراً جميلاً، إلاّ أنّ الشيطان كان يوسوس له بعدم محبّة الله له، و أنّه لو كان يحبّه ما ابتلاه، لذلك توجّه إلى الله بالشكوى فقال:﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[2] ، فلمّا عرف ربّه منه صدْقه وصبره، ونفوره من محاولات الشيطان، أدركه برحمته، و أنهى ابتلاءه وردّ عليه عافيته.

ومن القصص الثلاث السابقة يمكننا ان نستشفّ انّ الرابط الذي جمع بينها في سورة واحدة؛ وهو الاستسلام لله تعالى والعودة إلى الحقّ بعد الخطيئة والذنب، ففي هذه القصص أعطى الله لكل نبي صفة (العبد الأواب) وهي تمثّل رمز العودة إلى الحق، لذا جاءت هذه القصص مجتمعة مع بعضها وموافقة لسياق السورة، بحيث يمكننا القول بأنّنا أمام قصص متداخلة فيما بينها أو أمام قصّة واحدة يمثّلها أبطال ثلاثة من الأنبياء، يحملون سمات مشتركة بينهم، ليس هذا فحسب بل إنّ الحوادث التي تعرّضوا لها، والنتائج التي رتّبها الله تعالى على الحوادث المشار إليها؛ تتجانس فيما بينها، وهذا يدل على مدى الإحكام الهندسي للسياق القصصي للسورة من حيث علاقة موضوعاتها ببعضها البعض.

---

[1]- عبد الرحمان ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، ج23، ص713.

[2]- ص، الآية 41.

ثمّ يمضي السياق ليختم بنموذج معاكس تماماً للمسار القصصي السابق، هذا النموذج أحدث قطعاً غير متوقّع، عمل على تحريك الذهن وإحداث الدهشة والمفاجأة لدى المتلقي، وهذا القطع في السياق الذي يمثّل التنافر الذي تحدثنا عنه آنفاً تمثّل في:

4. قصّة ابليس مع آدم:

تدفعنا هذه القصّة إلى التساؤل عن السّر الأسلوبي الذي جعل السياق يعرضها في ختام السورة.

في تصوّرنا، أنّ قضية ابليس وموقفه من عدم السجود لآدم – عليه السلام– قد ركّز فيها السياق عن ظاهرة (التكبّر) من جانب، وظاهرة (جهنّم) من جانب آخر، وبالرغم من أنّ هاتين الظاهرتين تتكرران في قصّة آدم، إلاّ أنّ التركيز هنا جاء ملحوظاً، بحيث نستكشف وجود علاقة عضوية بين أفكار السورة وبين هذه القصّة، أمّا سمة (التكبّر) فتتّضح علاقتها بسمتي (العزّة والشقاق) اللتين طبعتا المنحرفين، و أمّا التركيز على (جهنّم) فمع أنّه يتناسب مع سمتي (العزّة والشقاق) اللتين تقودان المنحرف إلى جهنّم، إلاّ أنّ جهنم ارتبطت بسياق الآيات السابقة التي تناولت بالتفصيل مهمات المنحرفين وهم في جهنّم، حيث كانوا يتبادلون التُهم فيما بينهم.

وحين مقارنة هذه القصّة مع النماذج القصصية السابقة، نجد أنّها تمثّل نموذج عكسي كما أسلفنا الذكر– في الاستسلام والعودة إلى الحق؛ حيث رفض ابليس اللعين الاستسلام لله وعاند، فكانت نتيجة تكبّره غضب شديد من الله تعالى، ولعنة منه وطرد من رحمته وعذاب أشدّ في الآخرة ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾[1].

مما سبق نستطيع القول أنّ هذا النموذج الذي أحدث التنافر داخل السياق القصصي، وبالتالي المفاجأة غير المتوقّعة من قبل المتلقي، والذي تناسب بدوره مع موضوع السورة وتناسق مع القضايا التي تعالجها، قد ساهم في الإحكام الدقيق للهيكل القصصي بصفة خاصة وللنظام البنائي للسورة بصفة عامة.

[1]– ص، الآيتان 77، 78.

هذا عن أثر السياق ومدى فعاليته وإحكامه في خلق نظام سورة "ص"، ففيما يتمثّل أثر الاختيار في السورة؟ وكيف ساهم في بناء أسلوبها؟ وهذا ما سيتم التعرّف عليه في المبحث الموالي.

II. أثـر الاختيار في السورة

أولاً: الاختيار التركيبي

1. أسلوب التكرار

2. بنية الاستفهام

ثانياً: الاختيار الصوتي

- جرس المفردة

أولاً: الاختيار التركيبي:

نسلّط الضوء في هذا النوع من الاختيار على التراكيب الخاضعة لمقتضيات التعبير، التي تركّبت منها سورة "ص"، واختارها المولى عز وجلّ دون غيرها من التراكيب الأخرى لأنّها الأقدر على توصيل المعاني المرجوّة من السورة، وقد صنّفنا هذه التراكيب في عنصرين اثنين وهما على التتالي: أسلوب التكرار وأسلوب الاستفهام، وفيما يلي سنبيّن أثر هذين الأسلوبين في بناء السورة، مع تعليل سبب اختيارهما وانتقاءهما دون غيرهما من الأساليب والتراكيب الأخرى.

1. أسلوب التكرار:

يعدّ التكرار في القرآن الكريم من أبرز الظواهر البلاغية التي شغلت الباحثين قديماً وحديثاً، واشتغالهم هذا يدل على الأهمية التي تحملها هذه الظاهرة في طياتها، إضافة إلا أنه يعد مظهراً من مظاهر البيان القرآني، "وإذا كان التكرار – في كلام البشر– مبعثاً نفسياً وحاجةً ضاغطةً تحرج المنشئ في كثير من الأحيان، ليضل مشدوداً الى كلمة أو عبارة بعينها الى أن تبلغ حدّ الإشباع حينئذٍ يدعها بعد أن يُفْرغ كامل شحناته النفسية فيها"[1]؛ فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله المحكم والذي لم يكن التكرار فيه عفوياً ولا تلقائياً ولم يكن زيادة لفظية دون معنى، ولم يكن لحاجة نفسية ضاغطة لأن كلمات الله تعالى لا تَنْفَدْ ولا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وإنما جاء ليحقق أهدافاً معنوية وأهدافاً نفسية، و أهدافاً فكريه كذلك.

وحين نعود الى سورة "ص" نجد أنّ التكرار قد ورد فيها بكثرة وبتنوعات مختلفة، منها على مستوى الكلمة وأخرى على مستوى العبارة، حتى شكل ظاهرة أسلوبية لافتة أدّت الى تناسق و انسجام بنية السورة، وعملت بدورها على شدّ انتباه المتلقي وتحريك ذهنه.

---

[1]– ينظر: أحمد على محمد، التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي دراسة أسلوبية إحصائية، مجلة جامعة دمشق، مج26،ع1و 2، 2010م ،ص49.

أ- التكرار على مستوى الكلمة :

شكل تكرار الكلمة في سورة "ص" حضوراً مميزاً، وهذا ان دلّ على شيء إنّما يدل على أهمية تلك الكلمة المختارة داخل السياق وقوة إيحائها في تأدية المعنى المراد دون غيرها من البدائل الأخرى المجاورة لها، وفي ذلك دليل على سرّ إعجاز النظم القرآني الذي لا تنقضي عجائبه.

وإذا أردنا رصد هذه الظاهرة الأسلوبية في السورة ، فإنّنا نجدها قد انحصرت في الكلمات الأتية: (هذا، أوّاب، الخطاب، الحقّ)، وفيما يلي سنتتبّع تواجد كل كلمة في موقعها في أنساق السورة.

1- كلمة "هذا" (اسم الاشارة): التي تكررت في السورة بشكل لافت للنظر في مواضع مختلفة بمعاني متباينة تجعل المتلقي يشتاق في كل مرة الى الخبر الذي سيأتي بعدها، وتظهر هذه الكلمة في الآيات الآتية من قوله تعالى[1]:

- ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾.
- ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾.
- ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾.
- ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾.
- ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣﴾.
- ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩﴾.
- ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩﴾.

[1]- ص، الآيات 4- 7، والآيات 32، 39، 49.

- ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾.

- ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾.

- ﴿هَـٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾.

- ﴿هَـٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧﴾.

- ﴿هَـٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾.

- ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾.

وقد قمنا بجمع الآيات وعرضها بهذه الطريقة، لأننا لا يمكننا أن نشعر بأثرها داخل السورة وهي متفرقة إلا إذا جُمِعت أمام مرئ القارئ كي يستطيع أن يستشفّ تلك البراعة السامية والسرّ الكامن في أسلوب البيان الخالد.

والمتأمل في الآيات الأربع الأولى يجد أنّها تشترك في موضوع واحد؛ وهو إنكار الكفار لدعوة النبي، وتكذيبهم له؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَـٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾[1]، يظهر اسم الاشارة ﴿هَـٰذَا﴾ الذي أشار به الكافرون إلى النبي ﷺ لتحقيره، وذلك لما جاء به من توحيد الله تعالى، "لأنّ عقولهم لم تقبل ما كلّمهم يه، فزعموا ما لا يفهمونه منه سحراً"[2]، فجملة ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ بيان لجملة ﴿هَـٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾، أي عدّوه مباهتاً لهم بقلب الحقائق والأخبار بخلاف الواقع، "لذلك أتبعوه بما هو كالعلّة لقولهم ﴿سَٰحِرٞ﴾ وهو ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾، أي تعجّبوا منه كما يتعجّبون من شعوذة الساحر"[3]، فلفظ الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾ في الآيتين اختاره الأسلوب القرآني

---

[1]– ص، الآية 4.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص210.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص210.

ليصوّر لنا حقيقة الإنكار من قبل الكفّار لدعوة النبي ﷺ وعدم تصديقهم له، فساعد بذلك على إضاحة المعنى، وتمثيل الموقف وكأنّه ماثل أمامنا.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ "تعليل للأمر بالصبر على آلهتهم لقصد تقوية شكّهم في صحّة دعوة النبي ﷺ بأنّها شيء أراده لغرض، أي ليس صادقاً ولكنّه مصنوع مراد منه مقصد"[1]، وفي قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ تأكيد لنفي الخبر الذي سمعوه من الرسول ﷺ وهو "دعوته إيّاهم أن يقولوا لا إله إلاّ الله"[2]، وما يؤكّد هذا الكلام؛ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧﴾ فهذه الآية كانت تأكيد للوصف الذي وصفوا به النبي ﷺ وهو بأنّ ماقاله "كذب مخترع لاشبهة لقائله"[3]، فما هذه الآية والتي قبلها إلاّ بياناً وتأكيداً لقولهم في الآية الكريمة ﴿هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

نلاحظ مما تقدّم أنّ اسم الإشارة (هذا) في الآيات السابقة قد تكرر (5 مرات)؛ دارت هذه التكرارات حول معنى واحد وهو إنكار الكفّار لدعوة النبي ﷺ وتكذيبهم له، وبذلك عمل هذا اللفظ على زيادة معنى الإنكار وتقريره وتوضيحه.

ويفصل بين الآيات السابقة واللاحقة – التي تتضمّن اسم الاشارة (هذا)– حكاية الخصمين اللذيْن دخلا على سيدنا داود في محرابه، وقصّ القضية التي أتيا من أجلها؛ ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣﴾[4].

فقد ظهرت كلمة (هذا) في الآية لبيان جملة ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لتدل على زيادة استفظاع اعتدائه عليه.

---

[1]– المرجع السابق، ص212.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، ص213.

[4]– ص، الآية 23.

والمتأمل في الآيات الأخيرة؛ يجد أنها تشترك في خاصيتين اثنين، **أولهما** وجود اسم الاشارة **(هذا)** الذي يختلف القصد من وراءه في كل آية، **وثانيهما** أنّ هذه الآيات تشير الى أصناف البشر المختلفة بداية بمقام العليين المقربين، ومروراً بمقام المتقنين المحسنين، وختاماً برتبة الطاغين المكذبين.

وقد ساعد اسم الإشارة **(هذا)** على بيان تلك الأصناف، ففي قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ** ﴿٣٩﴾﴾[1]، اشارة الى أعلى المراتب عند الله وهي رتبة المقربين وقد مثلها سبحانه بسيدنا سليمان –عليه السلام– أي هذا الذي سخرناه لك من الملك العظيم والبسطة والتسليط على ما لم يسلط عليه غيرك هو عطاؤنا الخاص بك فأعط من شئت وامنع من شئت غير محاسب على شيء من الأمرين[2]، لذا كان القصد من وجود اسم الإشارة هنا هو الإشارة الى التسخير الذي منحه الله للنبي وكذا التعظيم شأنه.

أمّا وجود **(هذا)** في قوله عز وجل: ﴿**هَـٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ** ﴿٤٩﴾﴾[3]، فقد ورد هنا ليفصل الكلام السابق عن الكلام الآتي بعدها قصداً لانتقال الكلام من غرض الى غرض مثل جمله أما بعد[4]، اي ان هذا الذي قصصناه عليك يا رسول الله من أنباء الرسل قبلك هو ذكر لك ونذكرة لقومك للإقتداء بهم حتى ينالوا مرتبه المتقين فيجازون بذلك حسن المآب يوم الجزاء وهذا هو الصنف الثاني من أصناف البشر.

وفي قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ** ﴿٥٣﴾﴾[5]، إشارة الى ما سبق ذكره للمتقين من قوله ﴿**لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ**﴾، فاسم الإشارة هنا مغاير لاستعماله المتقدم في قوله: ﴿**هَـٰذَا ذِكۡرٞ**﴾ وجيء باسم الإشارة القريب تنزيلا للمشار إليه منزلة المشار إليه الحاضر

---

[1]– نفس السورة، الآية 39.

[2]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص204.

[3]– ص، الآية 49.

[4]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص280.

[5]– ص، الآية 53.

إيماء الى أنه محقق وقوعه تبشيراً للمتقين[1]، أي أنّ الغاية من اسم الإشارة في هذه المقام هو تأكيد وقوع الجزاء للمتقين يوم الحساب؛ ومما يدل على زيادة التأكيد قوله: ﴿ **إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ** ﴿٥٤﴾﴾[2]، أي أنّ هذا النعيم هو عطاؤنا لأهل الجنة لا ينفذ؛ وجاء التوكيد بـ (إنّ) للإهتمام ولكمال العناية بهذا الرزق بتميزه وتوجيه ذهن السامع إليه.

وعندما يريد التعبير القرآني أن ينقلنا ويخبرنا عن الصنف الثالث من أصناف البشر وهو صنف الطاغين المكذبين، فيستعمل لذلك أيضاً اسم الإشارة **(هذا)** في قوله تعالى: ﴿ **هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ** ﴿٥٥﴾﴾[3]، فاسم الإشارة هنا أيضا مستعمل في الإنتقال من غرض الى غرض تنهية للغرض الذي قبله[4]، أي فاصل بين الحديث عن المتقين وجزاؤهم وبين الطاغين ومصيرهم أي بين الصنف الثاني والصنف الأخير، ويظهر مصير الكفار الطاغين في قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴿٥٧﴾﴾[5]، فاسم الإشارة هنا ورد لتقريب الإنذار لهم، والمشار اليه ما تضمنه قوله ﴿**جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا**﴾ من الصلى ومن معنى العذاب أو الإشارة الى الشر من قوله: ﴿**لَشَرَّ مَـَٔابٍ** ﴾ أي هذا يا رسول الله هو العذاب الذي سيلاقيه الذين يصدون عن ذكرنا ويكذبون برسالتك، أمّا الآيات الثلاث الأخيرة فقد عزّزت كل هذه المعاني التي ذكرناها آنفاً.

ومما سبق ذكره يمكننا أن نستشف السرّ الكامن في تكرار اسم الاشارة **(هذا)**؛ وهو أن هذا التكرار جاء لمعنى يراد أن يثبت في الذهن، ويدخل القلب، وتتمثله الأفكار ليعرف الانسان من أي صنف يريد ان يكون.

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص283.

[2]– ص، الآية 54.

[3]– نفس السورة، الآية 55.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص285.

[5]– ص، الآية 57.

2- كلمة "**أواب**": حيث ورد ذكر هذه الكلمة (4 مرات) في السورة ويظهر ذلك في الآيات الآتية من قوله عز وجل:[1]

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧﴾.
- ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩﴾.
- ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٣٠﴾.
- ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾.

واللافت للنظر هنا؛ هو ان كلمة ﴿**أَوَّاب**﴾ جاءت صفة للأنبياء الثلاث الذين وردت قصتهم في السورة وكانت محوراً لها، ما عدا موضع واحدٍ كانت صفة للطير الذي خصّ الله به سيدنا داود –عليه السلام– وهذا أن دلّ على شيء إنمّا يدل على دقة التعبير القرآني في اختيار الكلمات المكررة، والتي تعطي بدورها تناسقاً وانسجاماً في الكلام، و إذا علمنا أنّ كلمة (أواب) تعني سريع العودة؛ أدركنا قيمة تكرارها الذي يتناسب مع هدف السورة وهو الإستسلام في العودة الى الحق، فكل من داود، سليمان، أيوب –عليهم السلام– فُتنوا بفتن مختلفة أبعدتهم عن الله وعن الحق؛ فسيدنا داود فُتِنَ بإتباع الهوى الذي أبعده عن الحق، وسيدنا سليمان انشغل بالخيل التي منحها الله له فنسي ذكر ربه، أمّا سيدنا أيوب فقد ابتلاه الله بالمرض الذي دام طويلاً حتى كاد الشيطان يقنّطه من رحمة الله"[2]، ولكن حين أدركوا أن ذلك كله هو ابتلاء من الله وفتنه لهم استسلموا لله وعادوا اليه والى طريق الحق، وما يدل على رجوعهم و توبتهم؛ قوله تعالى في داود –عليه السلام– ﴿**وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَۚ** ۝٢٤﴾[3].

---

[1]– ص، الآيات 17، 19، 30، 44.

[2]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 239،256،275.

[3]– ص، الآية 24.

وكذا قوله في سليمان –عليه السلام– ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[1]، فالفعل ﴿أَنَاب﴾ في الآيتين تأكيد لصفة العودة الى الحق، أمّا سيدنا أيوب فيظهر إدراكه للفتنة وعودته للحق حين نادى ربّه فقال: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[2].

وبهذا يمكننا أن نستشف السر الكامن في تكرار كلمة **(أواب)**؛ وهو ترسيخ معنى العودة وتعزيزه وتأكيده، أمّا صفة (أواب) التي اقترنت بالطير فهي غير أوّاب التي تطرقنا اليها وإنّ كانت تحمل المعنى ذاته وهو "أنّ الطير كان كثير الرجوع الى سيدنا داود أي يأتيه من مكان بعيد"[3] وقد ذكر الله هذه الكلمة لتقريب صورة العودة من ذهن المتلقي وكذا لتأكيد معناها.

3– كلمة "الخطاب": حيث تكررت هذه الكلمة مرتين في قصة داود عليه السلام، ويظهر ذلك في الآيتين من قوله تعالى:

– ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[4].

– ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾[5].

فكلمة ﴿ٱلْخِطَاب﴾ الأولى تعني "بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه الى زيادة تبيان، وهي هبة منحها الله لنبيّه داود –عليه السلام– أي أنّ داود أوتي من أصاله الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلمّ جاء بكلام فاصل بين الحق والباطل شأن كلام

[1]– نفس السورة، الآية 34.

[2]– نفس السورة، الآية 41.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص229.

[4]– ص، الآية 20.

[5]– ص، الآية 23.

الأنبياء والحكماء"[1]، أمّا ﴿ٱلۡخِطَابِ﴾ الثانية فجاءت نعتاً لأحد الخصمين وهي غير بعيدة عن المعنى السابق، أي ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾، بمعنى أنه "إذا تكلّم كان أفصح منّي وان حارب كان أبطش مِنّي وإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي وقوته أعظم من قوتي"[2].

وحين نتأمل ونتدبر هذه الآية الكريمة نجد أنّ الله تعالى كان دقيقاً في اختيار كلمة ﴿ٱلۡخِطَابِ﴾ عندها نستشعر حلاوة هذا التكرار؛ فحين نعلم أنّ الخصمين قد دخلا على داود عليه السلام في محرابه فجأة، وذلك لكي يعاتبه الله على ما بدا منه، ولكي يكون ايضاً مشهد الخصمين صورة مصغرة للمعصية التي ارتبكها، ندرك أنّ تكرار كلمة ﴿ٱلۡخِطَابِ﴾ كان مناسباً للمقام؛ فسيدنا داود حين ظلم احد رجال جيشه وتزوج امرأته عندما أعجبته ورفض ردّها اليه[3]، كان يتّصف بالقوة والحكمة وفصل الخطاب لأنّه معروف لا يظلم إلاّ قوي، حينها جعل الله صورة سيدنا داود في أحد الخصمين ووصفه بالقوة في الخطاب حتى يشعر النبي بعظم المعصية التي ارتكبها ويعرف أنّ هذا المشهد هو عتاب له من الله تعالى حتى يتوب ويرجع الى طريق الحق؛ فتكرر كلمة ﴿ٱلۡخِطَابِ﴾ اذاً جاءت لاستماله سيدنا داود في قبول العظة وحثّه على إقامة العدل وعدم اتباع الهوى.

4-"الحق": تظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾[4]، فقد تكررت مرتين في نفس الآية وذلك لإثارة التهويل والخوف الشديد في نفس ابليس اللعين الذي امتنع عن الامتثال لأمر الله وفي نفوس أتباعه الطاغين والتأكيد على ان وعد الله حق وصادق وحاصل لا شك فيه.

---

[1]- ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ص229.

[2]- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص181.

[3]- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص239.

[4]- ص، الآيتان، 84- 85.

ومما سبق ذكره نستنتج أنّ الاختيار الدقيق للكلمات المكررة ساعد في الحفاظ على الترابط المفهومي للسورة وأبعد الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار، وبذلك ساهمت هذه الكلمات في انسجام بنية السورة وتناسقها.

ب- التكرار على مستوى العبارة:

تتجلى فاعلية هذا اللون من التكرار في السورة في العبارات التالية:

1- "**وأذكر عبدنا**": حيث نلمس هذه العبارة في الآيات الآتية من قوله تعالى:[1]

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾﴾.

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾.

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾.

والسر الكامن في تكرار هذه العبارة هو تهدئة النبي ﷺ على كل ما رآه من قومه، ولتذكيره بهؤلاء الأنبياء السابقين الذين لاقوا من أقوامهم الكثير من الصدود فثبتوا وصبروا حتى كان عاقبة صبرهم النصر وكشف الكرب[2]، "فأراد الله لنبيه ان يقتدي بهم في إقامة الدّين، والبصيرة في حقائق الامور"[3]، ويكمن السّر كذلك في تكرار عبارة ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا﴾؛ لتكريم النبي وتشريف مقامه، لأنّ الله إذا ربط كلمة (عبد) بأحد خلقه يكون تشريفاً وتكريماً له، فمقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم، لذا تكررت هذه العبارة للتنويه بشأن المخاطب ورفع مقامه وهو النبي ﷺ.

2- "**حسن مآب**": تتجلى هذه العبارة في الآيات الآتية من قوله تعالى:[4]

- ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾﴾.

---

[1]- نفس السورة، الآيات 17، 41، 45.

[2]- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص226.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص276.

[4]- ص، الآيات 25، 40، 49.

- ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٠﴾.

- ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩﴾.

فالآيتان الأولى والثانية تكررت العبارة ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ كاملة دون نقصان كلمة او حرف، وعندما نتدبر ونتأمل في تفسيرها سنجد ان التعبير القرآني كان دقيقاً في اختيار هذه العبارة وتكرارها، حيث أنّ الآية الأولى جاءت في معرض قصة سيدنا داود عندما أدرك الإبتلاء من الله له فاستغفر لذنبه، فغفر الله له ذلك، بل وجعله من المقربين اليه أي "قربه بعد مغفرة وحسن مرجع في الجنة"[1] وهو كرامة عند الله يوم الجزاء[2].

أمّا الآية الثانية – العبارة– جاءت في معرض قصة سيدنا سليمان عليه السلام وهي تحمل نفس المعنى السابق الذي ذكرناه؛ اي القربة بعد المغفرة وحسن مرجع في الجنة، فكان بإمكان التعبير القرآني ان يختار ألفاظاً أخرى لها نفس المعنى لتفي بالغرض ولكنّ سبحانه آثر نفس العبارة وذلك لكي يشدّ انتباه المتلقي ويحمله على التدبّر والاكتشاف.

وحقيقة حين بحثنا عن السّر، وجدنا أنّ هناك عنصر مشترك بين القصتين قد طرحه النص القرآني الكريم في سمة لشخصيتي داود وسليمان –عليهما السلام– العنصر السّمه هو **(أوّاب)**، كما أنّ الشخصيتين تخضعان لطابع آخر تشتركان فيه هو الطابع النسبي (أب وابن)، وهذا يعني أن التجانس بين الشخصيتين قد تكثف في أكثر من طابع، وهذا مما جعل سبحانه يكرر العبارة في كلى الموضوعين مما أعطى ذلك التكرار جمالية فائقة على الهيكل الهندسي للقصتين مع الربط المحكم المتناسق.

أمّا الآية الثالثة التي وردت فيها عبارة ﴿**لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ**﴾ فقد أراد الله بها تشريف مقام المتقين وتعظيم شأنهم وبعث الطمأنينة في نفوسهم بأنّهم سيحشرون مع الانبياء والرسل

[1]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص184.

[2]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص242.

وسينالون حسن المآب وهو الجنة؛ وذلك جزاء تصديقهم للرسل والامتثال لرسالة الله جلّ في علاه.

3- "**يوم الحساب**" : حيث تظهر هذه العبارة في الآيات التالية من قوله تعالى:[1]

- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

فعبارة ﴿**يَوْمِ ٱلْحِسَابِ**﴾ لها بدائل كثيرة منها: (يوم الجزاء، يوم القيامة، يوم الفصل...الخ)، ولكن التعبير القرآني اختارها من بين العديد من هذه البدائل وفي ذلك سرّ لابد من كشف الحجب عنه؛ فعندما نعلم أنّ ﴿**يَوْمِ ٱلْحِسَابِ**﴾ هو اليوم الذي يحاسب الناس على أعمالهم، فيقوم الله بجزاء المؤمنين الموحّدين بالجنة والكفار المشركين بالنار، ندرك حلاوة هذا الاختيار وقيمة هذا التكرار؛ فقد تكررت عبارة ﴿**يَوْمِ ٱلْحِسَابِ**﴾ كما أسلفنا الذكر (3 مرات) في السورة، مرتين خاصة بالمشركين المكذبين، وموضع واحد خاص بالمتقين المحسنين، وهذا ما يؤكد كلامنا السابق، أي أنّ هذه العبارة تجلّت في الآيات التي تبّين لنا أصناف البشر وهم المضلين والمتقين، وما سيلقوه من جزاء في هذا اليوم، فالسّر اذاً الكامن وراء هذا التكرار هو ترهيب الكفار من هذا اليوم والتأكيد لهم بأنه حاصل لا محال، وإثارة الحزن في نفوسهم، وبالمقابل ترغيب المتقين الصالحين فيه وحثهم على حسن العمل به.

ومما سبق ذكره يمكننا ان نستنتج الأسرار البلاغية والخصائص الأسلوبية الجمالية للتكرار على المستويين – الكلمة والعبارة – حيث نجد أنه شكّل ظاهرة اسلوبية لافته في السورة أدّت الى إثراء المعنى وتأكيده، كما ساهم في تعزيز البنية التركيبية للسورة، وبالتالي خلق إثارة لدى المتلقي.

[1]- ص، الآيتان 16، 26.

2.بنية الإستفهام :

تعددّت اساليب القرآن الكريم في مخاطبة النفس البشرية وكذا عرض القضايا الفكرية الوجدانية مابين خبري وانشائي، وذلك قصد ابراز القيم الجمالية وتحقيق المتعة الفنية لدى المتلقي، وما يهمّنا في مقامنا هذا هو أحد الأساليب الإنشائية التي تمثل ظاهرة أسلوبية بارزة في سورة "ص" ألا وهو أسلوب الاستفهام؛ هذا الأخير الذي يسهم في إبعاد الرتابة عن النص، لأنّه يُعَدُّ شكلاً من أشكال التنوّع في الأساليب، مما يضفي قِيَماً جمالية تعمل على لفت وشدّ انتباه المتلقي. واذا كان الإستفهام عموماً هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"[1]، فإنّ سبحانه في القرآن لا يستفهم خلقه عن شيء؛ و إنّما يستفهمهم ليقرر لهم وليذكرهم أنهم قد علموا حقا ذلك الشيء وهذا أسلوب بديع انفرد به الخطاب القرآني.

وإذا كانت سورة "ص" قد عالجت قضية الصراع بين المتكبرين الكافرين وبين الرسل المؤمنين الذين لاقوا الشيء الكثير من صدودهم وسخريتهم، فإنّ التعبير القرآني اختار أسلوب الاستفهام كي يصّور لنا هذه القضيّة، هذا الأسلوب الذي يحمل في طيّاته معانٍ أخرى مختلفة يمكن أن تُفْهَم من خلال السياق ليحقق بذلك عدة أغراض بلاغية كالتقرير والتعجب والإنكار والنفي والتوبيخ ...الخ.

وفيما يلي سنقوم برصد مواضع الاستفهام والمعاني التي يحملها في سورة "ص" قصد الكشف عن الأساليب التي جعلت التعبير القرآني يؤثره عن غيره من الأساليب، ليشكل بذلك ظاهرة أسلوبية بارزة لها خصوصيتها في هذه السورة.

أول مواضع الإستفهام في السورة تتجلّى في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾[2]، فالله سبحانه حين أراد تحذير الكافرين من التريّث عن اجابة دعوة الحق؛ اختار لهذه القضية اسلوب الاستفهام، وبالتحديد الاستفهام بـ(كم) "الدالة

---

[1]– ينظر: فصل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1989، ص168.

[2]– ص، الآية 3.

على العدد الكثير"[1]، حتى يبّين لهم أنّهم سيجازون بالهلاك كما جوزيت أمم كثيرة من قبلهم في ذلك، وأن هذه القرون "قد أضاعوا الفرصة فلم يفدهم نداؤهم ولا دعاؤهم بعد ذلك"[2]، فكان بذلك الاستفهام التكثيري الذي عمل على تحريك ذهن السامع وفكره مناسباً للموقف والمقام.

وفي قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾[3]، يصوّر لنا التعبير القرآني مدى دهشة المتكبرين وتعجبهم من هذه حقيقة الفطرية القريبة الساطعة، وهي حقيقة التوحيد، ويصوّر كذلك "طريقتهم في مقاومة هذه الحقيقة في نفوس الناس، وتثبيتهم على ما هم عليه من عقيدة موروثة متهافتة"[4]، حيث اختار لهذا المشهد قالب استفهامي رائع عمل على نفي الألوهية عن هذه الآلهة وقصرها على واحد، فساهم بذلك هذا الاختيار للأسلوب على إضافة دلالة عميقة على النص توضيحاً للصورة في ذهن المتلقي.

ويتجلى الاختيار المناسب للاستفهام في السورة كذلك في قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝﴾[5]، حيث يُصَوّر لنا القرآن شدة انكار الكفار "وتعجبهم من اختيار المولى عز وجل لمحمد ﷺ للرسالة والقرآن دون غيره منهم"[6]، لأنهم كانوا يتطلعون الى السيادة عن طريق الدّين، كلّما سمعوا أن نبياً جديداً قد أطلّ زمانه، لكنهم صدموا صدمة الحسد و التكبّر حينما اختار الله –على علم– نبيّه محمد ﷺ وفتح له من أبواب رحمته وأفاض عليه من خزائنها ما علم أنه يستحقه دون العالمين[7]، فجاء اختيار الاستفهام الذي حمل معنى التعجب والإنكار مناسباً لعرض هذه المسألة.

---

[1]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص206.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص207.

[3]– ص، الآية 5.

[4]– سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3006.

[5]– ص، الآية 8.

[6]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص213.

[7]– سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3008.

وغير بعيد عن المعنى السابق يقول المولى عز وجل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾[1] ، تبيّن هذه الآية "سوء أدب الكفار مع الله، تَدخّلهم فيما ليس من شأن العبيد"[2]، في قالب استفهامي يحمل معنى الإنكار والتوبيخ، والتقدير هو: "بأي حق وبأيّ صفة يوزعون عطاء الله؟ وهم لا يملكون خزائن رحمته؟ فالخزائن والمواهب من الله يصيب بها من يشاء فهو يختار للنبوءة من يصطفيه وليس الاختيار لهم فيجعلوا من لم يقدموه عليهم في دينهم غير أهل لأن يختاره الله"[3]، والسّر في اختيار أسلوب الاستفهام هنا هو لفت انتباه المتلقي الذي يعلم أن لكل سؤال اجابة، فعندما كان سبحانه يسأل؛ كان المتلقي ينتظر اجابة عن هذا السؤال من المخاطب، ولكن الله يعلم أن الإجابة ستكون بالنفي، ففضّل أن يُبقي على سيرورة الاستفهام لأنه أفضل من النفي، ومن ثَمَّ اقتناع المتلقي بالفكرة المراد لها أن تنساب في عقله ووجدانه.

وحين أراد التعبير القرآني تعجيز الكفار وتذكيرهم بحقيقتهم الواقعية اختار لهم اسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى التهكّم والسخرية، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ۝١٠﴾[4]، اي "إذا كان لهم ما ذُكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي توصلهم الى السموات فليدبروها وليتصرفوا فيها"[5]، وهو غاية التهكم بهم لأنّ الله هو مالك السموات والأرض وهو المتصرف في ملكه كيفما يشاء، فهذا الاستفهام فيه تعجيز وتوبيخ وتحدٍ لهؤلاء الكفار المعاندين، فاختيار هذا الأسلوب كان أبلغ في إثبات ذلك.

---

[1]– ص، الآية 9.

[2]– المرجع نفسه، ص3012.

[3]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص215،216.

[4]– ص، الآية 10.

[5]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص169.

وفي دائرة الاختبار المناسب والموفق للاستفهام في السورة قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾[1]، فبعدما تعرّض الرسول ﷺ للتهكّم والسخرية والحسد من طرف الكفار الحاقدين المستكثرين عليه نعمة النبوة، أراد الله سبحانه تسليته وتثبيته على الطريق، بقصه داود –عليه السلام– فكما أنّ داود آتاه الله الملك والحكمة إلاّ أنّه تعرّض للفتنة، ولكن "عين الله ظلّت ترعاه وتقود خطاه، وذلك في قالب استفهامي تعجبي"[2]، يحمل معنى التشويق والمتابعة والإثارة وهو من الأساليب التي دأب الخطاب القرآني على توظيفها في بناء النصوص القرآنية.

وعندما أراد الله تعالى الردّ على الكفرة و إبطال ظَنَّهم حين عقدوا المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الأرض اختار لهم أسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى الإنكار في قوله تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[3] فالله تعالى بهذا الأسلوب أراد "الارتقاء في الاستدلال على أنّ الحكمة الربانية بمراعاة الحق و انتفاع الباطل في الخلق تقتضي عدم المساواة بين الفريقين، والغاية من وراء هذا الاستدلال هو زيادة التشنيع على منكري البعث والجزاء"[4]، والمعنى أنه لو انتفى البعث والجزاء كما تزعمون لاستوت عند الله أحوال الصالحين و أحوال المفسدين.

وقَد أُخْتِير كذلك الاستفهام أسلوباً لعرض مشهد التكبّر والتعالي من إبليس اللعين وعدم خضوعه لأمر الله تعالى بالسجود لآدم –عليه السلام– وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ

---

[1]– ص، الآية 21.

[2]– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص231.

[3]– ص، الآية 28.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص250.

مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]، والمتأمّل لسؤال المولى عز وجل يجد فيه معنى التوبيخ والتأنيب لإبليس اللعين على المعصية التي ارتكبها في حق الله وعدم امثاله لأوامره، والمعنى: "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ استكبرت عن أمري؟ أم كنت من الذين لا يخضعون؟"[2]، فالإجابة عن السؤال الأوّل جاءت في صورة استفهامية من الله تعالى، فالسرّ الجمالي في اختيار هذا الأسلوب هو إيقاظ القلوب وتنبيهها إلى حجم المعصية التي ارتكبها ابليس – لعنه الله–.

والجدول الآتي يوضح باختصار مواطن الاختيار المناسب لأسلوب الاستفهام في السورة والمعاني التي حملها حتى شكل ظاهرة أسلوبية بارزة:

نـص الآيـة	المعنى المستهدف	سبب الاختيار
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾	التحذير والحث والتحريض	الدعوة الى إجابة دعوة الحق وعدم اضاعة الفرصة
﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾	التعجب والإنكار	زيادة توضيح الصورة وتقريبها من ذهن المتلقي
﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾	التعجب والإنكار	وصف حالة الحسد والتكبّر لدى الكفار
﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾	الإنكار والتوبيخ	– بيان سوء أدب الكفار مع الله

[1]– ص، الآية 75.

[2]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3028.

		– لفت انتباه المتلقي وحمله على التركيز والتدقيق
﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾	التهكم والتعجيز	اثبات العجز للكفار المعاندين
﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾	التشويق والإثارة	تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيته على الطريق
﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾	النفي والإنكار	زيادة التشنيع على منكري البعث والجزاء، وعدم المساواة بين الفريقين
﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾	التوبيخ والتأنيب	ايقاظ القلوب وتنبيهها الى حجم المعصية التي ارتكبها ابليس اللعين

ومما سبق ومن الجدول نرى أنّ أسلوب الاستفهام استطاع ان يخاطب العقل والوجدان معاً وكان له القدرة على حمل المتلقي على المشاركة في تفعيل الموقف القرآني فنشّط بذلك الخيال وحرّك الأذهان، فقد نقل بذلك المتلقي من المستوى المباشر للخطاب القرآني الى المعاني والدلالات الكامنة وراء النص.

ونرى أيضاً بأنّ للسّياق أثراً بارزاً، وأهميّة بالغة في الكشف عن المعنى البلاغي لأسلوب الاستفهام وتحديده بل بعض هذه المعاني لا تفصح إفصاحاً واضحاً عن المراد منها الاّ بمراجعة السياق و إطالة الوقوف معه، فشكّلت بذلك الاختيارات المناسبة لأسلوب الاستفهام ظاهرة أسلوبية بارزة في السورة عملت على تعزيز بنية السورة و اضافة قيماً جمالية لها.

ثانياً: الاختيار الصوتي:

- جرس المفردة:

استعمل القرآن الكريم مجموعة من الألفاظ، "فاختار أصواتها بما يتناسب مع أصداءها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالّة على ذاتها بذاتها"[1]، يضاف إلى ذلك الوقع السمعي للفظ، والتأثير النفسي للكلمة، والمدلول الانفعالي بالحدث.

وسورة "ص" كغيرها من سور القرآن، امتازت بدقّتها العجيبة في اختيار الألفاظ، فكل لفظ وُضع في مكانه المناسب في بناء محكم متماسك، بحيث لا يمكن أن يستبدل لفظ بآخر، ولو حصل ذلك لاختلّ المعنى وتشوّه البناء.

وبداية لابدّ لنا من وقفة تأملية؛ نستكشف من خلالها السّر الكامن وراء اختيار حرف (الصاد) كاسم لهذه السورة دون غيره من حروف الهجاء الأخرى؛ حيث نجد أنّ هذا الحرف من صنعة الله تعالى، فهو موجده صوتاً في حناجر البشر، وموجده حرفاً من حروف الهجاء التي يتألّف من جنسها التعبير القرآني، وهو في متناول البشر، ولكن القرآن ليس في متناولهم لأنّه من عند الله[2]، ولأنّ مخرج (الصاد) من أمكن مخارج الحروف وأوسعها وأخفّها وأرشقها وأغلبها، ولأنّ لها من الصفات العالية أكثر من ضدّها وأفخم وأعلى وأضخم، ولاختيار هذا الحرف عدّة تأويلات؛ منها ما يدل على أنّ "الله تعالى صادق فيما وعد، أو صدق محمد ﷺ، أو صاد محمد ﷺ واستمال قلوب الخلق، والصاد من المصاداة وهي المعارضة، أي عارض بما أنزلناه إليك الخلائق وجادلهم به فإنك تغلبهم لأنّ الصدق سيف الله في أرضه، ما وضعه على شيء إلاّ قطعه"[3].

---

[1]- محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص165.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3006.

[3]- برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج23، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص321، 322.

وعندما نتأمّل سورة "ص" نجدها اشتملت على **خصومات متعددة؛ فأوّلها خصومة الكفار مع النبي** ﷺ **﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾**[1]**، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾**[2]**، ثم تخاصم أهل النار ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾**[3]**، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾**[4]**، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾**[5]**، ثم خصامه ثانيا وتوعّده بإغواء الناس أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾**[6]، فكلّ هذه الخصومات الواردة في السورة جعلت من المولى عزّ وجل يختار حرف (الصاد) كاسم لها، لأنّ كل معاني هذه السورة مناسبة لهذا الحرف، وبالتالي لا يمكن لحرف آخر أن يحلّ محلّه، لذا يمكننا القول بأنّ الاختيار المحكم لألفاظ القرآن يدل على كمال ابداع المولى في صنعه، كذلك التناسق التام بين أسماء السّور وموضوعاتها، ما هذا إلاّ قطرة من بحر من بعض أسرار الإعجاز القرآني الذي لا تنقطع عجائبه.

ومن أمثلة اختيار المفردة المناسبة لجرسها المناسب في سورة "ص" قوله تعالى**﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾**[7]، ففي هذه الآية تبرز كلمة ﴿قِطَّنَا﴾ التي

---

[1]– ص، الآية 5.

[2]– نفس السورة، الآية 21.

[3]– نفس السورة، الآية 64.

[4]– نفس السورة، الآية 69.

[5]– نفس السورة، الآيتان 73، 74.

[6]– نفس السورة، الآيتان 82، 83.

[7]– ص، الآية 16.

تعبّر لغة عن "قطع الشيء بسرعة"[1]، والقطّ هو القطعة من الشيء، وقد يعطي معناها كلمتي (قسطنا، نصيبنا)، ولكن النظم القرآني لم يستعملها حفاظا على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى الاستهزاء والسخرية والعجلة من قبل الكفار الذين "أرادوا تعجيل صحائف أعمالهم لينظروا فيها، وقد تصدّر دعاءهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنّهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال"[2]، فحيث جمعت هذه الكلمة بين صوت (القاف) الذي يدل على القطع أو الوقف الشديد، وصوت (الطاء) الذي يدل على الدفع المتوقف، وهما من الأصوات "الإنفجارية المهموسة"[3]، اضافة إلى صوت (النون) للمدّ والترنّم، فأعطت هذه الأصوات مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمّلها معنى التهكّم في تعجيل العقاب لهم، وهذا دليل على الجهل والسفاهة والحمق.

ويظهر اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب كذلك في قوله عز وجل: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾[4]، فتبرز كلمة ﴿تُشۡطِطۡ﴾ لتعطي معنى "الميل في الحكم"[5] أو الجور والظلم، وقد استعملها القرآن لإضاءة هذا المعنى، بما فيها من غلظة وشدّة وثقل لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولّد من توقّف الهواء والتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا في (التاء) مع اعتراض جزئي للهواء محدثاً الاحتكاك في (الشين) ختاما بصوت (الطاء) شديد مجهور[6]، وما ينجم عن ذلك من رنّة في الذاكرة، وشدّة في السمع، والملاحظ أنّ مخرج هذه الأصوات الثلاث يكاد يكون واحداً، وذلك للتعبير عن معنى العدل في الحكم، وعدم الميل إلى طرف من الأطراف، وممّا زاد هذا المعنى وضوحاً ؛ هو تكرار حرف (الطاء) في آخر الكلمة الذي أعطى لمعنى العدل الاستمرار والديمومة، فكأنّما هذا المَلَك الذي جاء

---

[1]– بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص12.

[2]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج23، ص173.

[3]– ينظر، كمال بشر، علم الأصوات، ص251، 276.

[4]– ص، الآية 22.

[5]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص166.

[6]– ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، الصفحات 152، 249، 250.

لسيدنا داود يحثّه على إقامة العدل في حكمه دائماً وأبداً، ويظهر هذا المعنى في الآية الكريمة﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] .

وفي دائرة اختيار الجرس المناسب للفظ المناسب نجد قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرّٗ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩﴾[2]، فلفظة ﴿خَرّ﴾ هنا جاءت "متلبسة بالصوت على سمت الحدث، فهي توحي بالسقوط والهوي، وهذا السقوط، وذلك الهوي مصحوبان بصوت ما، وهذا الصوت هو الخرير، والخرير هو صوت الماء، فالحدث على هذا مستلّ من جنس الصوت، ووجه الدلالة فيما يبدو أنّ الخر يأتي بمعنى السقوط من شاهق، وأنّما الخرير إنّما يستعمل لصوت الماء أو الصدى محاكياً لهذا اللفظ في ترديده"[3]، فاستعمال الخرّ تنبيه على اجتماع أمرين هما السقوط، وحصول صوت؛ هذا الصوت كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر وطلباً للمغفرة من الذنب.

ويتجلّى اختيار جرس المفردة التي وافقت أصواتها معناها في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝﴾[4]، فتظهر لفظة ﴿مَسَّنِي﴾ بأزيزها الحالم، وصوتها المهموس، ونغمها الرقيق، وشدّتها الدلالية، نتيجة لتضعيف حرف الصفير[5]، هذه اللفظة التي جمعت بين جرس الصوت الهادئ، وبين وقع الألم الشديد لتوحي بشدّة الأذى الذي أصاب سيدنا أيوب – عليه السلام– وفرط البلاء عليه، فاللفظ في هذه الآية رفيق رقيق، ولكن المعنى شديد غليظ.

---

[1]– ص، الآية 26.

[2]– نفس السورة، الآية 24.

[3]– محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص186.

[4]– ص، الآية 41.

[5]– ينظر: محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص183.

ومن أمثلة اختيار المفردة المناسبة لجرسها في السورة قوله عز وجل: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾[1]، فكلمة ﴿ضِغۡثٗا﴾ في هذه الآية تدل على التباس الشيء بعضه ببعض[2]، فهي كلمة ثقيلة من حيث بنيتها وطبيعة أصواتها، غير أنّ علاقتها مع ما قبلها وما بعدها جعلت هذه المفردة هي الأنسب في الاختيار، رغم أنّ معناها قد تحققه كلمتي (حزمة) أو (قبضة)، ولكن القرآن الكريم آثرها لى الكلمتين نظراً لاجتماع حروف الشدّة المفخّمة (الضاد، الغين)، مع الرخاوة المرققة (الثاء)[3]؛ لتوحي بغصب سيدنا أيوب الشديد من زوجته التي قامت برعايته وصبرت على بلائه ولكنّها استسلمت لوسوسة الشيطان، حتى كادت تقنّطه من رحمة الله؛ فأقسم أن يضربها عندما ينعم عليه الله بالشفاء، ولكن الله تعالى لم يشأ ذلك، وأراد أن يكون سيدنا أيوب ليّناً في تنفيذ حنثه، فأمره أن يأخذ مجموعة من العيدان بالعدد الذي حدّده، ثمّ يضرب زوجته ضربةً واحدةً تجزئ عن يمينه[4]، فهذا التيسير وذلك الإنعام، كان جزاء على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على البلاء وحسن الطاعة والإلتجاء، فكان بذلك هذا اللفظ دالاً على المعنى، ومناسباً له.

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٠﴾[5]، فتظهر كلمة ﴿لَزُلۡفَىٰ﴾ بأصواتها الرقيقة، وموسيقاها الهادئة، التي تبعث الراحة والطمأنينة في النفس لتوحي بالاندفاع والتقدّم في القرب إلى شيء[6]. حيث جمعت هذه اللفظة بين صفير (الزاي)، واطباق (اللام) على اللهاة، واحتكاك (الفاء)[7].

---

[1]– ص، الآية 44.

[2]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص363.

[3]– ينظر: عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ص154.

[4]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص3022.

[5]– ص، الآية 40.

[6]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص21.

[7]– ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص297.

لتعطي رنّة في الذاكرة و أزيزاً في الأذن، وراحة في النفس توحي بالدرجة العالية العظيمة التي أثاب بها الله أنبياءه المخلصين على قوّة صبرهم، وهذه الدرجة هي القربى من الله في الدنيا وحسن مآب في الآخرة، مع الرعاية والرضى والانعام والتكريم.

وممّا تقدّم يتّضح أنّ اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلاً يانعاً في القرآن الكريم عامّة وفي سورة "ص" خاصّة، لا للدلالة الصوتية فحسب، بل لجملة من الدلالات الإيحائية واللغوية، وتلك ميزة القرآن في تخيّر الألفاظ.

وإذا كان هذا أثر مبدأ الاختيار في سورة "ص"، فكيف تجلى مبدأ الانزياح فيها ؟

وفي العنصر الموالي سيتم الاجابة عن السؤال المطروح .

III . أثــر الانزياح في السورة

أولاً: الانزياح التركيبي

1. ظاهرة التقديم والتأخير
2. ظاهرة الحذف
3. ظاهرة الالتفات

ثانياً: الانزياح الدلالي

1. الاستعارة
2. التشبيه
3. الكناية

أولاً: الانزياح التركيبي:

عرفنا في الفصل الأول أنّ الانزياح التركيبي "يحدث من خلال طريقة في الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب والفقرة"[1]، هذه الطريقة تتمثل في مخالفة الترتيب المألوف في النظام الجملي، وهذه المخالفة من شأنها أن تحدث أثراً في التركيب اللغوي للنص، ومن ثم فهي المسؤولة عن إثارة المتلقي واحداث الدهشة والمفاجأة لديه، فكل تركيب خرج عن القواعد النحوية المعتادة هو انزياح تركيبي، ومن أهم الظواهر التي تدخل ضمن هذا النوع من الانزياح والتي تسهم في إثراء الدلالة؛ (التقديم والتأخير، الحذف، الالتفات)، وفيما يلي سنقوم برصد هذه الأنواع الثلاثة في سورة "ص" والكشف عن القيم الأسلوبية والأسرار البلاغية التي تتضمّنها، وكذا لأنّها الأكثر تواجداً في السورة بعامة إذا ما قيست بغيرها من الأنواع الأخرى.

1. ظاهرة التقديم والتأخير:

يعدّ التقديم والتأخير سلوكًا لغويا يمارسه المبدع ليعبّر عن فكرة في إطار عاطفة ما، ويمارسه اتجاه المتلقي ليخاطبه بأسلوب لغوي مختلف عن الأسلوب المعياري، فالمبدع يعيد تشكيل وعي المتلقي وطريقة تفكيره وفق تراكيب لغوية قائمة على الانحراف والانزياح، فتشكّل ظاهرة الانزياح بذلك ظواهر أسلوبية خاصة في النص، والدراسة الأسلوبية تنشط في إبراز تلك الانزياحات ودراستها وتحليل جمالياتها التشكيلية الفنية والموضوعية.

وفيما يلي سنقوم برصد بعض النماذج المتنوّعة من التقديم والتأخير المتجلّية في سورة "ص" والتي شكلت ظاهرة أسلوبية بارزة.

أ- التقديم في الجملة الإسمية (تقديم المسند –الخبر-)

المسند هو ركن أساسي في الجملة الإسمية، وحقّه التأخير إلاّ أنه يتقدم أحيانا ويخالف القاعدة النحوية وذلك لغاية معنوية أو جمالية فنية يحقّقها الجانب الأدبي للنص القرآني، وجاءت الأسلوبية لترصد هذا الخرق وتعدّه جمالية ذات دلالة.

---

[1]- أحمد محمد ويس، الانزياح، ص120.

ومن مواطن تقديم المسند في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾[1]، نلاحظ في هذه الآية تقدّم الخبر (لهم) على المبتدأ (ملك السموات والأرض)[2]، وهذا حينما يريد التعبير القرآني في أسلوبه البليغ أن يستوضع حالة الكفار والمشركين، فإنه يظهر عجزهم وعدم قدرتهم وعدم تحكّمهم في مراتب الموجودات، "فيقول الله لرسوله أن يخبرهم إن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليصعدوا إن استطاعوا في أسباب السموات، ليَخْبُروا حقائق الأشياء وليفتحوا خزائن الرحمة فيفيضوا منها على من يعجبهم ويحرموا من لا يرمقونه بعين استحسان"[3]، فجاء تقديم الخبر بذلك مناسباً للمقام.

وغير بعيد عن هذا السياق نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾[4]، حيث تقدّم الخبر (لهم) عن المبتدأ (عذاب)[5] لإفادة تخصيص العذاب الشديد للمضلين عن سبيل الله وقصره عليهم دون غيرهم، وذلك جرّاء نسيانهم و إنكارهم ليوم البعث والجزاء.

وفي المقابل نجد قوله تعالى:﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾[6]، فكما كان تقديم الخبر في الآية السابقة لتخصيص وتعجيل العذاب للمضلين، يكون كذلك تقديمه هنا لتعجيل المسرَّة للمتقين بحسن المآب، فقد تقدّم في هذه الآية الخبر (للمتقين) عن اسم إنَّ

---

[1]- ص، الآية 10.

[2]- ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، مج8، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1412هـ، 1992م، ص331.

[3]- ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوي،ر ص217.

[4]- ص، الآية 26.

[5]- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص187.

[6]- ص، الآية 49.

(حسن مآب)[1] لإشعار المتقين بالنصر المحقق الذي لا مرْيَة فيه، وفي هذا ترسيخ للعقيدة وحسن التوكل على الله والثقة فيه لا في غيره.

وبعد ما بيّن الله سبحانه الثواب العظيم الذي سيناله المتقون، ويصوره لهم كأنه ماثل أمامهم يقول لهم:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾[2]، أي أنَّ هذه النعم والكرامات التي أعطيناها لكم مالها من انقطاع أبداً، فتقدّم الخبر(له)[3]، لتمييزه، وتوجيه ذهن السامع إليه بأنَّ هذا رزق دائم لكم لا زوال له، فكان التقديم هنا أبلغ لإحداث التأثير لدى المتلقي.

وفي دائرة تقديم الخبر نجد قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ...﴾[4]، جاءت هذه الآية في سياق إقامة العدل و اعطاء الحُكم من قبل سيدنا داود –عليه السلام– للخصمين اللّذَيْن تَسَورا محرابه وطلبا منه الحكم لهما، فذكر سيدنا داود عبارة (كثير من الخلطاء) للموعظة لهما بعد القضاء بينهما على عادة أهل الخير من انتهاز فرص الهداية و أراد أن يرغبّهما في ايثار عادة الخلطاء الصالحين، فذكر بالمقابل قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، وذيّل كلامه بـ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وهي الشاهد في هذه الآية، حيث "قدّم لفظه (قليل) التي هي خبر عن الضمير (هم) التي تمثل المبتدأ"[5]، "وذلك للترغيب في أن يكونا من الصالحين لما هو متقرر في النفوس من نفاسة كل شيء قليل"[6]

---

[1]– محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص373.

[2]– ص، الآية 54.

[3]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص374.

[4]– ص، الآية 24.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص347.

[6]– ينظر: محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ص236.

وعندما يريد التعبير القرآني أن يرفع مقام الأنبياء ويشرّفهم بكرم التوبة من الله، يُقَدَّم الخبر، كما فعل سبحانه مع داود –عليه السلام– عندما عَلِمَ أنه فُتِن فاستغفر ربه، فقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[1]، فجاء الخبر (له) مقدّم على اسم إن (حسن مآب)[2]، وذلك لكي يبعث الله الطمأنينة في قلب نبيّه داود –عليه السلام– بأنّه لم يغفر له فقط بل "كرّمه بشرف القرب من الله بعد المغفرة"[3]، ولهذا كان تقديم الخبر فيه تشويقا لمصير النبي بعد الذنب وطلب المغفرة.

ومن مواضع تقديم الخبر في سورة "ص" أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾[4]، في هذه الآية يخاطب الله سبحانه إبليس اللعين الذي استكبر عن السجود لسيدنا آدم –عليه السلام– ويخبره عن مصيره خلال الفترة الدنيوية الى يوم الدين وهي اللعنة، أي الإبعاد من رحمة الله، "وأُضيفت الى الله لتشنيع متعلقها وهو الملعون، لأنّ الملعون من جانب الله هو أشنع ملعون"[5]، لذلك تقدّم الخبر(عليك) في هذه الآية، وقد أفاد ذلك قصر وتخصيص اللّعنة على إبليس لا يتخطّاه إلى غيره، وقوله (يوم الدين) أي غاية اللّعنة؛ للدلالة على دوامها مدة هذه الحياة كلها ليستغرق الأزمنة كلها.

ب–التقديم في الجملة الفعلية (تقديم المفعول به):

من المواضع التي تقدّم فيه هذا النوع في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾[6]، حيث تقدّم المفعول (كم) على فعله (أهلكنا)[7]

---

[1]– ص، الآية 25.

[2]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص348.

[3]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص185.

[4]– ص، الآية 78.

[5]– ينظر: محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ص305.

[66]– ص، الآية 3.

[7]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص 327.

وحين نفهم مقصود الآية سيتضح لنا جمال وغاية هذا التقديم، حيث أنّ الله سبحانه في الآية التي تسبق هذه الآية، يبيّن لنا عزّة الكافرين الباطلة وشدّة كبريائهم وعصيانهم واعجابهم بأنفسهم وتكبّرهم عن قول الحق، فقدّم بذلك المفعول (كم) وهي دالة على الكثرة ليحذّرهم من العذاب الشديد الذي سينزل بهم والذي لا ينفع بعده ندم ولا متاب، وهذا العذاب قد لحق بالقرون التي سبقتهم بسبب تكبّرهم عن قول الحق لذلك تقدّم المفعول هنا للاهتمام بمضمونه "ليفيد الاهتمام، إيماء إلى أنهم أسوة لهم في العزّة والشقاق و أنّ ذلك سبب إهلاكهم"[1]

وفي دائرة تقدّيم المفعول في السّورة قوله جل علاه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[2]، حيث تقدم المفعول به- ضمير متصل-(ي) في الفعل (مسّ)، الذي يعود على سيدنا أيوب؛ تقدّم على الفاعل (الشيطان)[3] لأنّ "النبي أيوب هو المقصود من هذه الآية وهو المصاب الذي يطلب الاستغاثة من الله ورفع الضّر عنه من وسوسة الشيطان إليه الذي صَوّر له عِظَم البلاء، فقد كاد يقنّطه من الرحمة، وقد كان النبي يجاهده في دفع ذلك حتى تعب فنادى ربّه يستصرفه عنه ويستعينه"[4]، لذا فإنّ التقديم هنا كان لغرض العناية بسيدنا أيوب و الاهتمام بشأنه ورفع مقامه، فكان أبلغ في الصورة ومناسباً للمقام.

ومن مواطن تقديم المفعول به في السورة أيضاً قوله تعالى:﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾[5]، والشاهد في هذه الآية هو (والحق)، حيث تقدّم المفعول (الحق) على الفعل (أقول)[6] أي ولا أقول إلاّ الحق، "وتقديم المفعول هنا أفاد الاختصاص والحصر"[7]، فالله تعالى توعّد

---

[1]- ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ص206، 207.

[2]- ص، الآية 41.

[3]- ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص366.

[4]- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص206.

[5]- ص، الآية 84.

[6]- ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص385.

[7]- ينظر: المرجع نفسه، ص385.

وأقسم بأن يملأ جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس، لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس[1].

والجدول الآتي يوضح باختصار مواضع التقديم التي قمنا بدراستها في سورة "ص":

الآية النموذج	الشاهد	نوع المقدّم	دلالته
﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾	لهم	خبر	تخصيص المشركين بالعجز وعدم القدرة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾	لهم	خبر	تخصيص العذاب للمضلين وقصره عليهم
﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾	للمتقين	خبر	تعجيل المسرّة للمتقين بالثواب وإشعارهم بالنصر
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾	لـه	خبر	تمييز الرزق بأنه دائم لا زوال له وتوجيه ذهن السامع إليه
﴿...وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ..﴾	قليل	خبر	للترغيب في إتباع الصالحين

[1]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص229.

﴿وَإِن لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾﴾	له	خبر	تحصيص الرفعة وكرم التوبة لأيوب عليه السلام
﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾	عليك	خبر	تخصيص اللعنة لإبليس وقصرها عليه دون غيره
﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾﴾	كم	مفعول به	لفائدة تهويل الموقف وتخصيص الهلاك لهم
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾	ي (مسني)	مفعول به	تخصيص العناية و الإهتمام بشأن أيوب عليه السلام
﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾	والحق	مفعول به	الاختصاص والحصر

مما سبق تبيّن أنّ ظاهرة التقديم والتأخير التي تتيحها قواعد اللغة بنحوها ونظام التراكيب فيها في سورة "ص" قد تمثّلت في زيادة التخصيص والأهمية، والتعلّق النفسي والإثارة تشويقاً للجزاء، وترهيباً من العقاب، ومن ثمّ تنوّعت الأساليب ليتجسّد الإيقاع الداخلي، دون أن يؤثّر ذلك في المعنى.

2. ظاهرة الحذف:

يعدّ الحذف عملية جوهرية في التركيب، يوجد تصويراً جديداً باعتباره انحرافاً يصيب السياق، ويثير المتلقي، وهو من السّمات الأسلوبية المميزة لدوره المهم في الربط بين المرسل والمتلقي، "فهو احد متنفسات القارئ لإعمال تجربته في النص، ومنه المشاركة في البناء الجديد، وذلك سّر جماله، ويحدث هذا الحذف في الجملة الإسمية كما يحدث في الجملة الفعلية، تاركاً فراغاً بين عناصر التركيب، وتبقى مهمة المتلقي في تقديره أو الشعور به"[1]،

[1]- ينظر: سليم سعداني، الانزياح في الشعر الصوفي، مطبعة بن سالم، الأغواط، ص50.

لأن القيمة التي تبحث عنها الأسلوبيه هي التعبيرية، فالحذف إذن من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في القرآن الكريم.

وفيما يلي سنتناول أهم مواطن الحذف في سورة "ص" مبرزين الغاية البلاغية، والقيمة الأسلوبية الجمالية من وراءه:

أ- الحذف في الجملة الإسمية:

1- حذف المبتدأ :

من مواضع حذف المبتدأ في سورة "ص" ما ورد في قوله تعالى:﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ...﴾[1]، الشاهد في الآية هو (خصمان) أي (نحن خصمان)، "فالمبتدأ (نحن) محذوف"[2]، وقد حُذِف لأنّ الموقف الذي برزا فيه الخصمان هو موقف مفزع بالنسبة لسيدنا داود، ودليل ذلك قولهما له (لا تخف)، فما كان منهما إلاّ تهدئته من وقع المفاجأة وشدة الانفعال الذي حصل له، فكان حق السياق الإيجاز والاختصار في الكلام، فحذف بذلك المبتدأ الذي أعطى العبارة قوة وكذلك دقة في الإيجاز.

وفي قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾[3]، حيث أن لفظة (كتاب) هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذا " أي (هذا الكتاب)[4]، وعندما نقف عند تفسير هذه الآية سيتبيّن لنا بلاغة ودقة وحلاوة هذا الحذف، حيث أنّ سياق هذه الآية جاءت "عقب الإمعان في تهديد المشركين وتجهيلهم على اعراضهم عن التدّبر بحكمة الجزاء ويوم الحساب، وبذلك أعرض الله عن خطابهم وَوَجّه الخطاب الى النبي

---

[1]- ص، الآيتان 21، 22.

[2]- ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص346.

[3]- ص، الآية 29.

[4]- ينظر اعراب القرآن ص345.

ﷺ بالثناء على الكتاب المنزل عليه"[1]، إذ قال سبحانه لنبيّه، "وهذا القرآن(كتاب أنزلناه إليك) يا محمد (مبارك ليدبروا آياته)؛ أي ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به"[2]، والسّر في حذف المبتدأ هنا؛ هو تعظيم شأن القرآن، والدعوة الى زيادة اللذّة باستنباط المعنى المحذوف قصد امعان الفكر، وغلغلة النظر، والتدبّر في هذا الكتاب، الذي لا يخلو من فوائد التدبّر والفهم.

2- حذف الخبر:

يظهر هذا النوع من الحذف في سورة "ص" في قوله سبحانه﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾[3]، "فاسم الاشارة (هذا) مبتدأ خبره محذوف"[4]، والتقدير (هذا شأن المتقين)[5]، وقد حذف للتعجيل بمصير الطاغين وهم أهل الشرك لأنهم تكبّروا بعظمتهم على قبول الإسلام، وأعرضوا عن دعوة الرسول ﷺ بكبر واستهزاء وحكموا على عامة قومهم بالابتعاد عن النبي وعن المسلمين وعن القرآن، لذا كان حذف خبر (المتقين) أنسب وأبلغ من ذكره، وكذا لاختبار تنبّه السامع بالربط بين هذه الآية وما سبقها من الآيات الدالة على جزاء المتقين.

ب- الحذف في الجملة الفعلية

- حذف المفعول به:

يحذف المفعول به من الجملة الفعلية ويعمل المتلقي على تقديره عن طريق قرائن موجودة في التركيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَـٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾[6]، فـ (أركض) فعل أمر وفاعله ومستتر تقديره أنت، ومفعوله محذوف، أي (الأرض)،

---

[1]- ينظر التحرير والتنوير، ص251.

[2]- ينظر الطبري، ص79.

[3]- ص، الآية 55.

[4]- ينظر اعراب القرآن ص374.

[5]- ينظر التحرير والتنوير ص285.

[6]- ص، الآية 42.

وتقدير الكلام (أركض الأرض برجلك)، وحَذْفُ المفعول في هذا الموضع يوحي بسرعة استجابة دعاء سيّدنا أيوب عليه السلام[1] حين طلب رفع الضر عنه في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[2]، وفي هذا يقول **الجرجاني**: "من الروعة والحسن ما وجدت...لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة وإنّ الغرض لا يصحّ إلاّ على تركه"[3]، ومما يدل على أنّ حذف المفعول هنا أفاد سرعة الإجابة قوله تعالى:﴿ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ ، "فقد وصف سبحانه الماء بذلك في سياق الثناء عليه إلى أن ذلك الماء فيه شفاؤه، إذا اغتسل به وشرب منه، ليناسب قول الله له مع نداء ربه، لظهور أن القول عقب النداء هو قول استجابة الدعاء من المدعو"[4].

وفي نفس سياق قصة أيوب –عليه السلام– يقول تعالى:﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ...﴾[5]، أي (فاضرب به امرأتك ولا تحنث) تناسبا مع سياق الآيات، فعندما حَذَف سبحانه قصة زوج أيوب من السورة وأشار إليها في الآية إجمالاً، ما كان منه إلاّ أن يحذف كذلك المفعول به (امرأته) وذلك تناسقاً وانسجاماً مع السياق لأن قصّة زوجه ليست هي الغرض المقصود الذي سيقت لأجله هذه الآية، وإنّما ذُكِرَت هنا تكملة لمظهر لطف الله بأيوب جزاء على صبره، ومعاني هذه الآية ظاهرة في أن "الترخيص جاء رفقاً بأيوب، واكراماً له لحبه زوجه ورفقاً بزوجه لبرّها به"[6]

ومما تقدم جميعا تبيّن أن الحذف في سورة "ص" وإن كان بنسبة ضئيلة مقارنة بالتقديم والتأخير قد حقق غايات أسلوبية عديدة منها:

---

[1]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص367.

[2]– ص، الآية 41.

[3]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص173.

[4]– ينظر: محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ص270.

[5]– ص، الآية 44.

[6]– ينظر: المرجع نفسه، ص273.

– اعتبار الحذف مؤشراً لجمال في الأسلوب وقوة في المعنى، وغناء في البيان.

– التنبيه الى المعاني المقصودة، وإتاحة الفرصة للقارئ أو المستمع أن يستنبط بنفسه المحذوف، فتتصاعد يقظته ويتجدد نشاطه.

– الإيجاز في العبارة واختصارها.

3.ظاهرة الالتفات:

يكمن معنى الالتفات في أنّه "ضرب من التحوّل أو العدول في مسار التعبير"[1]، وبما أنّ الدراسة الأسلوبية تركز على ظواهر الانزياح والعدول، فإن أسلوب الالتفات يكون في مقدمة هذه الأساليب، إذ "تتمثل فيه ظاهرة العدول من أسلوب آخر محدثاً معه مثيراً أسلوبياً يدعو للتأمّل والدراسة واستجلاء ما فيه من فنية أدبية"[2]، ويعتبر هذا الاسلوب أحد المسالك التعبيرية والأنواع البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم، بل لعلّة أكثر هذه الأنواع تردداً وأوسعها انتشاراً في ذلك البيان الخالد؛ ولسورة "ص" نصيباً من هذا الأسلوب الذي يعدّ خاصية من خصائصها الأسلوبية، إذ أضفى على بناءها الفني عناصر جمالية أثرت السورة في ملامح الشدّ والجذب والإثارة.

وفيما يلي سنقف عند أبرز صور الالتفات التي تحققّت في السورة

أ– الالتفات من التكلّم إلى الغيبة:

أول مواضع هذا الالتفات نجده في قوله تعالى:﴿**وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩** ﴿٢٤﴾﴾[3]، موطن الالتفات في هذه الآية نجده في قوله تعالى: ﴿**فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ** ﴾ بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله: ﴿ **فَتَنَّٰه**﴾ بصيغة التكلم، وكان مقتضى السياق (فاسْتَغْفَرَنا) "ولكنه تعالى آثر صيغة الغيبة لحاجة المقام لظهور لفظة (الرب) حتى

[1]– ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط 1998م، ص34.

[2]– ينظر: مروان محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص136.

[3]– ص، الآية 24.

يعلم داود بفتنته وليشعره بحال فعلته"[1]، ولمّا علم بذلك طلب الغفران من ربه لِمَا صنع، لذا عمل هذا الالتفات على تعظيم الله سبحانه و انتباه سيدنا داود لفعلته و إيقاظه من غفلته، فكان العدول من التكلم إلى الغيبة أفصح للكلام و أبلغ في النظام.

ونجد هذا النوع من الالتفات كذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[2]، جاء موضع الالتفات في قوله: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بصيغة الغيبة، وذلك بعد قوله:﴿عَبۡدَنَا﴾ التي أتت بصيغة التكلم، وكان حق السياق استمرار صيغة التكلم فيأتي (إذ نادنا) بدل قوله ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، ولو وقعنا مع تفسير هذه الآية المباركة لاستشعرنا حلاوة هذا الالتفات، إذ يضرب الله لنبيّه محمد ﷺ أسوة بسيدنا أيوب في الصبر على أذى قومه والالتجاء إلى الله في كشف الضّر، "فسيدنا أيوب عندما أصابه النصب، كان الشيطان يوسوس له بتعظيم العذاب ويلقي إليه أنّه لم يكن مستَحقاً لذلك العذاب ليلقي في نفس أيوب سوء الظن بالله أو السخط من ذلك"[3]، لذلك طلب سيدنا أيوب لطف الله به ورفع النصب والعذاب عنه لأنّها صارَا مدخلاً للشيطان إلى نفسه "فطلب العصمة من ذلك"[4]، ولهذا جاء الالتفات حتى يظهر لفظ الجليل (ربه) الذي ليس للمقام غِنَى عنه.

---

[1]- ينظر: محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ص239.

[2]- ص، الآية 41.

[3]- محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ص269- 270.

[4]- المرجع نفسه، ص270.

ب. الالتفات بين الخطاب والغيبة:

1- من الخطاب إلى الغيبة:

يبرز هذا النوع في قوله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾[1]، حيث عدل سياق الآية عن الخطاب في كل من﴿فَٱضۡرِب﴾، ﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ إلى الغيبة في قوله﴿وَجَدۡنَٰهُ﴾، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ وذلك لكي يمدح الله تعالى نبيّه ويرفع مقامه ويجازيه على صبره، فقد كان أيوب أواباً لله من فتنه الغنى والنعيم، ومن فتنه الضر و الاحتياج[2]، فكان حق السياق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وذلك تشريفاً لمقام النبي أيوب وثناءً له على قوة صبره على البلاء.

2- من الغيبة الى الخطاب:

نلمس هذا النوع من الالتفات في قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾[3]، نلاحظ أن سياق الآيات التي تسبق هذه الآية كان بصيغة الغيبة، إذ كان سبحانه يصف لعباده المتقين الجنات التي أعدّها لهم نتيجة اخلاصهم وصبرهم، ثم عدل في هذه الآية إلى الخطاب في قوله ﴿تُوعَدُونَ﴾ تناسباً مع ما سيق، ولكن قُطِعَ السياق وحصل الالتفات هنا "لتشريف المتقين بعزّ الحضور لخطاب الله تعالى"[4].

جـ- الالتفات في الصيغة:

1- <u>الالتفات من الفعل الى الاسم</u>

لكل من صيغتي الاسم والفعل خصوصيتها التي تتميز بها من الأخرى في أداء المعنى، وقد حدد البلاغيون هذه الخصوصية في كل منها فقالوا: "إن موضوع الاسم على

---

[1]- ص، الآية 44.

[2]- محمد الطاهر عاشور،التحرير والتنوير، ص275.

[3]- ص، الآية 53.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص284.

أن يثبت به المعنى للشيء، وامّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء"[1]، وفي ضوء هذا الفارق يمكن أن نستوحي ما يوحي به العدول من صيغة الاسم الى صيغة الفعل في سورة "ص"، فلنتأمل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ ﴾[2]، ففي سياق هاتين الآيتين تحوُّل عن تأدية وظيفة الحال في الآية الأولى بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحۡن﴾ إلى تأديتها في الآية الثانية بصيغة الاسم ﴿مَحۡشُورَةً﴾ ولو وقفنا على تفسير هاتين الآيتين لاستشعرنا حلاوة هذا الالتفات البليغ؛ فالآيتان مسوقتان لإبراز نعمتين خصّ الله بها نبيّه داود –عليه السلام– وفي إيثار صيغة الفعل ﴿يُسَبِّحۡن﴾ في التعبير عن النعمة الأولى وصيغة الاسم ﴿مَحۡشُورَةً﴾ في التعبير عن الثانية ما يجلي عظمة هاتين النعمتين من جهة وخصوصيتها بداود –عليه السلام– من جهة أخرى، ذلك أن شأن الجبال التسبيح الدائم، ومن ثم كانت صيغة الفعل(✍↗☜♌♋⧈♏♊✡☜♏❹⌑❖♏♏) مناسبة لمعنى التجدد، على أن التسبيح المقصود من الجبال ليس هو ذلك التسبيح الدائم، بل هو تسبيح خاص بنبّي الله داود يتجدد بتجدد تسبيحه، ثم عدل التعبير القرآني من الفعل الى الاسم في الآية الثانية، وذلك ان من شأن الطير الحركة وسرعة التنقل من مكان الى مكان، ولهذا فإن لإيثار صيغة الإسم في التعبير عن حشره﴿مَحۡشُورَةً﴾ دلالته على أنها حين تحشر أو تتجمع لتجاوب تسبيح داود – عليه السلام– تكاد تفارق طباعها فتثبت في مكان حشرها خاشعة لا تكاد تريم[3] وبذلك كان الالتفات من الفعل الى الاسم أبلغ في التعبير وأدق في التصوير.

[1]– حسن طبل، أسلوب الالتفات، ص86.

[2]– ص، الآية 19.

[3]– حسن طبل، أسلوب الالتفات، ص86، 87.

2- الالتفات من الجمع إلى التثنية:

من المواطن القرآنية التي تحقق فيها التحول من الجمع إلى التثنية في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾[1]، إذ يظهر الالتفات في لفظه ﴿خَصْمَانِ﴾ مثناة مخالفة لما يقتضيه ظاهر السياق الحافل قبلها بضمائر الجمع ﴿دَخَلُوا﴾، ﴿مِنْهُم﴾، ﴿قَالُواْ﴾ وكما قال **الزمخشري**: أن الخصمين بمعنى الفريقين أي قد كان مع كل منهما صحب وأعوان يساندونه في خصومته ضد الآخر، فسّر العدول عن الجمع الى التثنية على ألسنة هؤلاء الخصم إيحاء برغبتهم في تهدئة روع داود -عليه السلام- بعد أن أحسّوا بفزعه، فكأنهم أدركوا أن هذا الفزع ليس لأنهم تسوّروا عليه محرابه فحسب، بل لخوفه كذلك أن يضيع يوم خلوته للعبادة في الفصل بينهم ومن ثم كان في ايثار العدول على ألسنتهم إيماء الى حرصهم على طمأنته من هذا الجانب، فكأنهم بذلك يبادرونه بالقول: "لا تخف من ضياع يومك فهذه الجموع التي تراها لم تأت إلا من أجل خصومه واحدة"[2].

ومما سبق نستنتج أن الالتفات على اختلاف صُوره يؤثر في السامع فيحثّه على المتابعة والربط بالعودة الى أوّل التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التغيّر و الانتقال من أسلوب إلى آخر، وبذلك شكّل في سورة "ص" ظاهرة أسلوبية لافتة، أدى بذلك الى زيادة جمال أسلوبها.

وإذا كان هذا مظهر الانزياح التركيبي في سورة "ص"؛ فما هو أثر الانزياح الدلالي فيها؟

---

[1]- ص، الآية 22.

[2]- ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات، ص100، 101.

ثانياً: الانزياح الدلالي:

عرفنا في الفصل الأول أن الانزياح الدلالي (الاستبدالي) هو إعطاء اللفظ دلالة مجازية كإضافة ما ليس له إليه، فالمجاز بذلك وسيلة خاصة في التعبير، تمتاز بتحقيق الإثارة لدى المتلقي والمتعة والدهشة، وتفسح المجال للتخيل والخروج من المألوف، وتؤثر في المتلقي فتثيره إثارة خاصة تدفعه إلى موقف أو سلوك معين وبذا تحقق الصورة المجازية الفنية جمالية التعبير والمتعة الذهنية والتأثير بطريقة لا يمكن للغة العادية أن تؤديها، "إذا لو كانت اللغة العادية تؤدي نفس الغرض بالطريقة المؤثرة نفسها؛ لكان التعبير الحقيقي أولى باللجوء إلى اللغة المجازية"[1]، ولعلّ من بين الانزياحات اللغوية التي لها تأثير دلالي في سياق الكلام؛ الانزياح المبني على المشابهة، وكذا المتعلّق بالمجاورة والإعارة، وهذه كلّها تدخل ضمن المفاهيم البلاغية المعروفة بـ (الاستعارة، التشبيه، الكناية)، حيث استرعت الاستعارة فيه معظم الانتباه وكان الحظ الأوفر لها، وفيما يلي سنرصد تغيّر المدلولات في سورة "ص" من خلال المباحث، بحثاً عن الأثر الجمالي الذي يتركه الانتقال من المدلول الوصفي الأول إلى أبعاد ثانية بدءاً بـ:

1. الاستعارة:

تبدو الاستعارة واحدة من أهم التعبيرات المجازية، فهي "نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على حد المبالغة"[2]، ولكن الاستعارة تختلف عن التشبيه؛ بكونها تشبيهاً قد حذف أحد طرفيه، لكن في دراستنا هذه لن نتناول الاستعارة ببعدها البلاغي التقليدي، بل سننظر إليها بوصفها "نقلا للمعنى بأوسع معاني هذا النقل"[3]؛ فالاستعارة بمفهومها الجديد هي "**اعتداء وجرح لشفرة اللغة** أي **انحراف عن الاستخدام العادي**"[4]، وهذا الانحراف يشدّ المتلقي وينفي

---

[1]– ينظر: مروان سعيد عبد الرحمان، دراسة اسلوبية في سورة الكهف، ص159.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، دط، 2003م، ص346.

[3]– حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002م، ص219.

[4]– صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة ط1، 1998م، ص238.

الرتابة عن النص، ويمدّه بوسائل طريفة ومدهشة في التعبير، وهكذا فإنَّ الاستعارة تتميز بعنصر التكثيف إذ "تحقق عامل الاقتصاد اللغوي، بما تُتيح من صناعة مركزّة لعناصر الدلالة المتعلقة بالمعنى العادي لكلمة معينة، وتحقق تلاؤماً مع المعنى الجديد الذي يفرضه السياق"[1]

"فالصورة الاستعارية إذن تقوم على علاقات تخيلية تجمع بين المشابهة وغيرها وتلك تسمى زاوية الخيال، وتلك أعمق أنواع الاستعارة"[2]

ومن أبرز صور الاستعارة في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٢﴾[3]، حيث وصف سبحانه فرعون في هذه الآية بأنه﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ وقد اختلف في تأويل ذلك، إلاّ أنّ الراجح في معنى ﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ هو "كما قال بن عباس: ذو البناء المحكم أو كما قيل أنه ذو الجنود الكثيرة، فسميت الجنود أوتاداً، لأنّهم كانوا يقوّون أمره ويشيدون سلطانه كما يقوّي الوتد البناء"[4]، فالكلام في ذي الأوتاد خارج مخرج الاستعارة التي تدل على "ثبات الملك والعز لفرعون"[5]، فالغاية من وراء هذه الاستعارة هو تخويف أولئك الكفار الذين يكذبون الرسول في اخباره عن نزول العقاب عليهم، فكان من الله سبحانه إلاّ أن يصوّره ويصفة بهذا الوصف تفخيمًا لأمر ملكه ليكون الزجر والهلاك مع قوة أمره أبلغ[6].

---

[1]– صلاح فضل، علم الأسلوب، ص257.

[2]– ينظر: مروان سعيد عبد الرحمان، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، ص175.

[3]– ص، الآية 12.

[4]– ينظر: عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، دار الكتاب المصرية للطباعة، القاهرة، 1384هـ، 1965م، ص 154، 155.

[5]– ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ص220.

[6]– محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ، 1981م، ص181.

وعندما أراد الله تصوير حال الحاكم العادل الموصل إلى الخلق قال عز وجل: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾[1]، فالاستعارة في هذه الآية تتمثل في قوله: ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾، فـ﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ مستعار للحق الذي لا يشوبه باطل لأنّ الصراط؛ الطريق الواسع، والسواء منه هو الذي لا التواء فيه ولا تشعّب، فهو أسرع إيصالاً إلى المقصود باستوائه و أبعد عن الالتباس بسلامتة من التشعب[2]، فهذه الاستعارة صوّرت لنا حال الحاكم بالعدل بحال المرشد الدال على الطريق الموصلة إلى الحقّ.

وفي سياق غير بعيد عن ما ذكرناه نجد سبحانه يصوّر لنا موقف التحاكم قصد طلب الإنصاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾[3]، والمراد بالإخوة في هذه الآية هي "أخوة الدّين أو اخوة الصداقة والألفة وكل هذه الأخوات يدل بحق مانع من الاعتداء والظلم"[4]، وقد خاطب الخصمان داود –عليه السلام– بهذا الخطاب قصد الحرص على إظهار الحق، وقد برز في خطابهما كلمة (نعجة) التي انزاحت عن معناها الأصيل المتعارف عليه بين الناس إلى معنى آخر هو (المرأة) وذلك لكي ينبّه الله سيدنا داود بالذنب الذي ارتكبه، ففي هذه الآية "تصوير لموقف التحاكم قصد طلب الإنصاف في معاملة القرابة لئلا يفضي الخلاف بينهم إلى التواثب فتنقطع أواصر المَبّرة والرحمة بينهم"[5]

---

[1]– ص، الآيتان 21، 22.

[2]– ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ص234.

[3]– ص، الآية 23.

[4]– الألوسي، روح المعاني، ص180.

[5]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص235.

وحين أراد الله أن يبيّن لنا حسرة سيدنا سليمان –عليه السلام– عند انقضاء وقت العبادة قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝﴾[1]، هذه الآية تجمع بين ثلاث استعارات كلها تنسجم مع السياق، فالشمس استعيرت للمرأة، و إن كانت الشمس لم تذكر صراحة إلاّ أن السياق دل على ذلك عند ذكر العشي، فهذا الأخير لم يذكر لمجرّد التوقيت بل ليبني عليه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ فصوّر لنا القرآن "غروب الشمس بتواري المرأة وراء الحجاب، وكذلك لاختفاء الشمس عن الأنظار استعير التواري، ولأفق غروبها استعير الحجاب"[2]، فلابد من إمعان النظر في روعة هذا التعبير الذي يصوّر لنا تحسّر سيدنا سليمان على فوات وقت العبادة بسبب انشغاله بخيله الصافنات الجياد وحبه لها، فكان بالإمكان أن يكون التركيب بطريقة بسيطة، كأن يقول سبحانه (حتى غربت الشمس ففاتته صلاة كان يقضيها في المساء قبل الغروب ولكن روعة التصوير والتعبير القرآني اقتضت هذا التركيب الاستعاري الذي يصوّر لنا تحسّر سيدنا سليمان على انقضاء وقت الصلاة بصورة قريبة إلى الذهن، حيث كشف لنا هذا التركيب الأبعاد النفسية التي اشتملت عليها شخصية سليمان –عليه السلام– عندما انشغل عن ذكر ربه والذنب العظيم الذي وقع فيه.

والجدول التالي يلخّص لنا جميع الاستعارات المدروسة في سورة "ص" وكيفية انتقالها من مدلول أوّل إلى مدلول ثاني:

---

[1]– ص، الآية 31، 32.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص256.

الآية النموذج	الـدال	المدلول الأوّل	المدلول الثاني
﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾﴾	ذو الأوتاد	البناء المحكم	ثبات الملك والعز
﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾	سواء الصراط	الطريق المستقيم	طريق الحق
﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾	نعجة	حيوان بري ولود	المرأة
﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾	الشمس	كوكب مضئ	المرأة
	توارت	اختفت	غياب الشمس عن الأنظار
	الحجاب	لباس المرأة الشرعي	أفق غروب الشمس

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ جميع الدوال قد خرجت عن معانيها الحقيقة التي وضعت لأجلها إلى معاني مجازية أخرى؛ أي انتقالها من مدلولاتها الأولى إلى مدلولات ثانية، ومنه نستطيع أن نقول أن الصورة الاستعارية تتميّز عن غيرها من الصُور بإظهار طاقاتها الخيالية والتشكيلية والأداء الجمالي وكذلك بقدرتها على الجمع بين الأشياء المتباعدة والتوحيد بينها ليخرج لنا في النهاية مركّب جديد ذي صفات خاصة ومتميزة.

2. التشبيـه:

تدور معظم تعريفات التشبيه على العلاقة بين طرفين في بعض الوجوه فهو"وصف الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إيّاه"[1]، ويقول **عبد القاهر الجرجاني**: "وأعلم أنه ليس شيء أبيّن وأوْضَح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأملة من التشبيه"[2]، ويعتبر التشبيه أنجع وسيلة أسلوبية لتشخيص المعاني المجرّدة والأفكار المعنوية حتى يخرجها في صور محسوسة مدركة، حتى كأننا نراها حيّة أمام أعيننا، وبذلك يكون التأثير والإقناع.

ومن صُور التشبيه في سورة "ص" قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[3]، يظهر التشبيه في كلمتي ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ﴾، ﴿كَٱلْفُجَّارِ﴾، حيث صوّرت لنا هذه الآية حكمة الله تعالى وعدله في نفي المساواة بين المؤمنين والكفار وبين المتقين والفجار، وإذا كان الأمر كذلك، فلابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا التشبيه الوارد في الآية هو "ردّ على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شيء واحد[4].

وفي دائرة التشبيه في السورة نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾[5]؛ جاءت هذه الآية بعد التخاصم الكبير الذي نشب بين أهل النار ليُصَوّر لنا التعبير القرآني الموقف وكأنه حيّ أمامنا، "فشبّه بذلك تقاولهم وما يدور بينهم من حوار وما يتبادلونه من سؤال وجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك، لأن قول الرؤساء لتابعيهم ﴿لَا

---

[1]– ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: محمد محي الدين غبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، دط، 1963م، ص286.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص242.

[3]– ص، الآية 28.

[4]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص191.

[5]– ص، الآية 64.

مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ وقول التابعين ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ﴾، لايعدُو الخصومة التي يتراشقها المتخاصمون"[1].

ومما سبق نرى أنّه وإن قلّ ورود الصُور التشبيهية في سورة "ص" مقارنة بالصور الاستعارية، فقد كان لها الأثر الواضح والوقع الملموس، حيث تم فيها الاستخدام المحسوس لبيان المجرّد جعل ذلك من الصورة التشبيهية أكثر وضوحاً وأعمق أثراً، وهذا ما امتاز به البيان القرآني.

3. الكنايـة:

تعدّ الكناية لون من الألوان البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم، ولم يجعلها غاية في ذاتها ولكنها وسيلة تؤدي إلى نسق معجز من الألفاظ، والمعاني المترابطة يكلّلها المغزى الديني الذي يطلّ من وراء الخصوصية البلاغية، فالكناية هي "أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ إلى معنى هو تالية وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طول القامة"[2]

والصورة الكنائية في القرآن الكريم تمتاز بحسن التصوير، وقوة التأثير، وروعة التعبير، إلى جانب الإيجاز اللطيف العجيب، وفي سورة "ص" حضورا واضحاً للصور الكنائية حيث نجدها في قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾[3]، فكلمة ﴿وَٱنطَلَقَ﴾ في هذه الآية "كناية عن انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام أي ليس لكم يدان في مغالبة محمد فمالكم إلا الصّبر، وليس المراد بها؛ الانطلاق والسير فحسب، بل المُضِي والصبر على دينهم وعبادة آلهتهم، كما أنّ كلمة ﴿ٱمْشُوا﴾ كذلك ليس

[1]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص378، 379.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص105.

[3]– ص، الآية 6.

المراد بها المشي المتعارف عليه بل هي كناية عن الاستمرار والثبات على ما هم عليه من تكذيب لمحمد ﷺ وعدم الدخول في دينه"[1].

ومن مواضع الكناية أيضاً قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾[2]، فعبارة ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾، "كناية عن الهبة والنصرة وكثرة الجنود"[3] التي منحها الله سبحانه لنبيه داود –عليه السلام– فـ﴿شَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ "هي تقوية ملكه وسلامته من غلبة أعداءه عليه في حروبه"[4]، وفي نفس الآية نجد عبارة ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وهي كناية عن بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان، أي أن داود –عليه السلام– "أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلّم جاء بكلام فاصل بين الحق والباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء"[5].

وفي قول سيدنا أيوب –عليه السلام– ﴿... أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[6]، كناية لطيفة عن طلب لطف الله به ورفع النُّصب والعذاب عنه بأنّ مرضه صار مدخلاً للشيطان الى نفسه؛ فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[7].

وفي دائرة الكناية في السورة نجد قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[8]، حيث تظهر كلمة

---

[1]– ينظر: محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص330، وينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير ص211.

[2]– ص، الآية 20.

[3]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص176.

[4]– ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ص229.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– ص، الآية 41.

[7]– يوسف، الآية 33.

[8]– ص، الآية 26.

﴿ٱلْهَوَىٰ﴾ التي هي كناية عن الباطل والجور والظلم لِمَا هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفس، "فإن العدل والإنصاف ثقيل على النفوس فلا تهواه غالباً، ومن صارت له محبة الحق سجيّه فقد أوتي العلم والحكمة وأيّد بالحفظ والعصمة والنهي عن اتّباع الهوى تحذير لسيدنا داود وايقاظاً ليحذّر من جرّاء الهوى ويتّهم هوى نفسه ويتعقّبه فلا ينقاد إليه فيما يدعوه إليه إلاّ بعد التأمّل و التثبت"[1].

وتتجلى الصورة الكنائية أيضا في قوله جل علاه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[2]، حيث تبرز في هذه الآية عبارة ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ وهي "كناية عن القوة في الدّين والشرع والصدع به"[3]، و﴿ٱلْأَيْدِ ۖ﴾ هي القوة والشدّة، "ومصدر آد، إذا اشتد وقوى، ومنه التأييد والتقوية، فقد أعطي داود –عليه السلام– قوة نادرة وشجاعة واقداماً عجيبين استعملها في نصر دين التوحيد"[4].

وفي موضع آخر من السورة، وفي سياق غير بعيد عن ما سبق ذكره ذكر سبحانه كلمة الأيدي في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾[5]، فعبارة ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ "كناية عن القوة في طاعة الله"[6]، أمّا كلمة ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فهي ليست بمعنى البصر، أي النظر المتعارف عليه؛ إنما هي كناية عن النظر الفكري المعروف بالبصيرة، "أي التبصّر في مراعاة أحكام الله تعالى وتوخي مرضاته"[7]، والغاية من هذه

---

[1]– المرجع نفسه، ص 244.

[2]– ص، الآية 17.

[3]– عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1418هـ، 1997م، ص59.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص227.

[5]– ص، الآ ية 45.

[6]– الثعالبي، تفسير الثعالبي، ص71.

[7]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص276.

الصورة الكنائية هو اقتداء النبي ﷺ بثلاثتهم (إبراهيم، اسحاق، يعقوب) –عليهم السلام– في القوة في اقامة الدين والبصيرة في حقائق الأمور.

وحين أراد الله تعالى أن يبيّن عظمة قدرته في الخلق عندما امتنع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام، ذكر سبحانه وتعالى كلمة (اليد) في قوله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾[1]، "فعبارة ﴿بِيَدَيَّۖ﴾ كناية عن القوة والقدرة وهما صفتان من صفات ذاته تعالى"[2]، وقد غلّب الله اليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر الأعمال لأن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده حتى قيل في عمل القلب هو ممّا عملت يداك[3]، فجاءت هذه الصورة الكنائية موجزة لبيان قدرة الخالق في الخلق.

ومما تقدّم نرى أن الكناية في السورة قد امتازت بنظمها البديع وتأليفها الفريد حيث قدّمت لنا المعاني في صورة المحسوس، فكانت حيّة قريبة إلى الذهن، فأدى ذلك الى احداث التأثير والإقناع والإمتاع لدى المتلقي وهذه هي حقيقة التعبير القرآني.

من خلال الفصل الثاني نستنتج أنّ:

- ✓ سياق سورة "ص" تمثّل في مقاطع أربعة؛ جاءت متناسقة تناسقاً منسجماً، أدّت إلى تشكيل النظام البنائي للسورة ومن ثمّ تحقيق الهدف المرجو منها وهو التذكير.
- ✓ السياق الصوتي للسورة تمثّل في جرس الفاصلة الذي الذي شكّل مقاطع صوتية تناغمت بشكل إيقاعي مع مضمون الآيات.
- ✓ السياق التنافري للسورة تمثّل في السياق القصصي؛ من خلال التنافر الذي عمل على تشكيل عنصر المفاجأة لدى المتلقي، والذي تناسب بدوره مع موضوع السورة وتناسق مع القضايا التي تعالجها.

---

[1]– ص، الآية 75.

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص288.

[3]– محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، ص383.

- ✓ مبدأ الاختيار في السورة تمثّل في كل من الاختيار التركيبي والاختيار الصوتي؛ حيث لمسنا في النوع الأول من الاختيار أسلوب التكرار الذي شكّل حضوراً مميزاً على مستوى الكلمة والعبارة معاً، والذي ساهم في تعزيز البنية التركيبية للسورة، وبالتالي خلق إثارة لدى المتلقي، وأسلوب الاستفهام الذي استطاع ان يخاطب العقل والوجدان معاً فأضفى بذلك قِيَماً جمالية عملت على لفت وشدّ انتباه المتلقي، أمّا الاختيار الصوتي فقد تشكّل في جرس المفردة الذي تناسب مع معاني السورة، وبالتالي ساهم الاختيار في إعطاء الهيكل المتماسك لسورة "ص".
- ✓ مبدأ الانزياح في السورة تجسّد في نوعين وهما الانزياح التركيبي والانزياح الدلالي؛ أمّا التركيبي فقد تمثّل في عدّة ظواهر أسلوبية؛ وهي التقديم والتأخير؛ هذه الأخيرة التي كانت في الجملة الاسمية أكثر منها في الجملة الفعلية ممّا أحدثت هذه الظاهرة تنوعاً في أساليب السورة الذي ساهم في إحداث الإيقاع الداخلي، دون أن يؤثّر ذلك في المعنى، وكذا ظاهرة الحذف التي كان لها الأثر البالغ في السورة رغم قلتها مقارنة بالظاهرة السابقة، إلاّ أنّها حقّقت غايات أسلوبية ساعدت على تشكيل جمال الأسلوب في السورة، وزيادة في معناها، أمّا الظاهرة الأخيرة التي تلت الظاهرتين السابقتين وهي ظاهرة الالتفات؛ التي كان لها نصيباً في السورة، حيث أضفت على بناءها الفني عناصر جمالية أثرتها في ملامح الشدّ والجذب والإثارة.
- ✓ أمّا النوع الثاني من الانزياح وهو الانزياح الدلالي؛ وقد اشتمل على ثلاث صور وهي كالآتي: الاستعارة، والتشبيه، والكناية؛ أمّا الاستعارة والكناية فقد كانت لهما الحظ الأوفر في السورة مقارنة بالتشبيه الذي لم نلمسه إلا في ثلاثة مواضع فيها، وقد كان له الأثر الواضح والوقع الملموس وتأثيره المميّز فيها.
- ✓ أنّ الانزياح التركيبي والدلالي بما فيهما من ظواهر بلاغية وأسلوبية؛ تعاضدا لتشكيل سورة "ص" وفقاً للهدف الذي جاءت من أجله، ومن ثمّ خلق جمال الصورة فيها واحداث التأثير والامتاع لدى المتلقي.

الخـــاتمـــة

وبعد؛ فلكل بداية نهاية ولكل حديث خلاصة وغاية، ولابدّ لنا من وقفة تأمّل واستذكار لما حقّقه البحث من مقاصد وما عالجه من عناصر وما توصّل إليه من نتائج في جانبيه النظري والتطبيقي، ومن أهم هذه العناصر والنتائج نذكر الآتي:

1. أنّ السياق هو أوّل المبادئ الأسلوبية؛ لأنّه يفرض على منشئ الخطاب طريقة معيّنة في الكتابة، فهو العماد الرئيسي في تحديد المعنى المقصود لأيّ بناء نصّي أو كلامي.
2. إنّ نظرات العلماء التراثيين العرب للسياق جاءت متفرّقة، تفتقر الى تنظيم يجمعها في إطار نظرية متكاملة، و أنّ فكرة السياق عند الغرب تميّزت بالانتظام ووضوح المصطلح، وأنّها امتداد للفكر الانساني التراثي.
3. أنّ الاختيار هو ثاني المبادئ الأسلوبية، يأتي في الدرجة الثانية بعد السياق، فهو الوجه الذي يستقر عليه الخطاب بعامة، وقد اعتمده الدارسون الأسلوبيون بغية الوقوف على التميّز والتفرّد الذي يتضمّنه كل أسلوب من هذه الأساليب.
4. مبدأ الاختيار عند المحدثين ارتبط ارتباطا وثيقا بالأسلوب؛ بل عُدّ الأسلوب ذاته عند البعض منهم، أمّا عند التراثيين العرب فقد كان الاختيار ميداناً للتنافس والتفاضل بين المبدعين.
5. أنّ الانزياح هو الوجه المتحرّك داخل نظام اللغة المنتقاة أو المختارة، فقد عدَّ عملية جوهرية في تحديد الأسلوب، ومؤشرا نصّيا على أدبية النص، وتكمن وظيفته الرئيسة في عنصر المفاجأة التي تصدم المتلقي، وتشكّل الاثارة والدهشة لديه.
6. أنّ مصطلح الانزياح شاع في الدراسات الأسلوبية الحديثة؛ وقد رُبط بمفهوم الأسلوب عندهم، اذ اعتبروه هو الأسلوب الأدبي ذاته، أمّا بالنسبة للفكر التراثي العربي فنجده قد عرف الانزياح بعدّة مصطلحات أخرى كالاتّساع، والغرابة وشجاعة العربية.
7. أنّ مبدأ السياق عند اسقاطه على سورة "ص" أخذ مسارين اثنين؛ وهما السياق التناسقي والسياق التنافري؛ أمّا الأوّل فقد تضمّن السياق النسقي للسورة والذي تلخّص في أربعة أشواط تمثّلت في موضوعاتها، هذه الأشواط جاءت مؤتلفة إئتلافاً محكماً لا تعارض ولا

تناقض فيها؛ كل شوط يكمّل الآخر، فشكّلت بذلك سياقاً تناسقياً محكماً أدّى الرسالة المنوطة به في إطار عملية التواصل بين الباث والمتلقي، والثاني تمثّل في السياق الصوتي الذي تمّ التطرّق فيه إلى جرس الفاصلة؛ هذه الأخيرة التي ارتبطت بالسياق الدلالي للآية، حيث تنوّعت الفواصل في السورة تنوعاً أسهم في تطوير أسلوب التعبير، وحقّق عنصر الإثارة والتشويق وأبعد طابع الملل والرتابة، فقد راعت معنى الكلام ودلالته قبل ألفاظه ومبانيه.

8. أنّ السياق التنافري في السورة تمثّل في الاطار القصصي لها الذي شغل أكبر مساحة فيها، ولعب دوراً كبيراً في فاعلية تحريك أحداثها، ويرجع كل هذا إلى دقّة السياق الذي عمل على انسجام هذه البنيات الصغرى واتّحادها لتصبّ في قالبٍ واحدٍ هو البناء الكلي لسورة "ص".
9. أنّ أثر الاختيار في السورة لمسناه في نوعين وهما الاختيار التركيبي والاختيار الصوتي؛ فالأوّل تجسّد في أسلوب التكرار الذي ورد ي السورة بكثرة وبتنوعات مختلفة، منها على مستوى الكلمة و أخرى على مستوى العبارة، هذا الاختيار المناسب لأسلوب التكرار شكل بذلك ظاهرة أسلوبية لافتة أدّت الى تناسق و انسجام بنية السورة، وإثراء المعنى وتأكيده، كما ساهم في تعزيز البنية التركيبية لها، وعمل بدوره على شدّ انتباه المتلقي وتحريك ذهنه، وكذا بنية الاستفهام التي شكّلت ظاهرة أسلوبية بارزة لها خصوصيتها في هذه السورة، السبب الذي جعل التعبير القرآني يؤثره عن غيره من الأساليب لتأدية الغرض المرجو من السورة على أكمل وجه.
10. أنّ أثر الاختيار الصوتي في السورة تجلّى في دقّة اختيار التعبير القرآني لكلماتها طبقاً لجرسها المناسب الذي يوحي بمعناها المناسب، فقد ساهم هذا الأثر في الكشف عن جماليات التعبير القرآني.
11. أنّ أثر مبدأ الانزياح في السورة تجسّد في نوعين وهما الانزياح التركيبي والانزياح الدلالي؛ أمّا التركيبي فقد شمل عدّة ظواهر بداية بالتقديم والتأخير الذي شكّل على

مستوى الجملة بنوعيها – الاسمية والفعلية– سمة أسلوبية بارزة أحدثت تشكيلة فنيّة وجمالية في بنية السورة، ومن ثمّ التنوّع في الأساليب وتحقيق الإيقاع الداخلي، دون أن يؤثّر ذلك في المعنى.

12. التحليل الأسلوبي لبنية السورة كشف أنّ الحذف قد شكّل خاصية أسلوبية لافتة للنظر، عملت بدورها على التأثير في المتلقي وشدّ انتباهه.
13. رغم ورود ظاهرة الالتفات بنسبة قليلة في سورة "ص" مقارنة بالظواهر الأخرى؛ إلاّ أنّها شكّلت سمة أسلوبية بارزة كانت جديرة بالدراسة، و أحدثت مثيراً أسلوبيا في السورة أضفت على بنائها الفني عناصر جمالية.
14. أنّ أثر الانزياح الدلالي في السورة تضمّن كل من الاستعارة والتشبيه والكناية؛ أمّا الأولى فقد وردت (6 مرات) في السورة – على حدّ دراستنا– وعملت على خلق انحراف في بعض سياقات السورة، أدّى هذا الانحراف بدوره إلى شدّ المتلقي ونفي الرتابة عن النص، فالصورة الاستعارية تميّزت عن غيرها من الصُور باظهار طاقاتها الخيالية والتشكيلية والأداء الجمالي وكذلك بقدرتها على الجمع بين الأشياء المتباعدة والتوحيد بينها، لتشكّل لنا في النهاية النظام البنائي لسورة "ص" .
15. أمّا الكناية التي كان لها حضوراً واضحاً في السورة، وقد وردت فيها بنفس نسبة الاستعارة فقد امتازت بحسن التصوير، وقوة التأثير، وروعة التعبير، ، فقد قدّمت لنا المعاني في صورة المحسوس، فكانت حيّة قريبة إلى الذهن، فأدى ذلك الى احداث التأثير والإقناع والإمتاع لدى المتلقي وهذه هي حقيقة التعبير القرآني.
16. أمّا التشبيه الذي كان أنجع وسيلة أسلوبية لتشخيص المعاني المجرّدة والأفكار المعنوية في السورة، ورغم قلّة وروده فيها مقارنة بالصورة الاستعارية والكنائية إلاّ أنّه كان له الأثر الواضح والوقع الملموس فيها.

وممّا تقدّم من نتائج نستشفّ أنّ المبادئ الأسلوبية الثلاث – السياق، الاختيار، الانزياح– قد تعاضدت مع بعضها البعض، وتجلّى هذا التعاضد والارتباط من خلال الآثار

الصوتية والتركيبية والدلالية التي أبرزت مختلف الظواهر الأسلوبية، هذه الأخيرة بدورها شكّلت خاصية جمالية مميّزة، ساهمت في خدمة الغرض الأساسي الذي تهدف إليه السورة، والمتمثّل في اثبات وحدانية الله تعالى، والردّ عن المشركين الطاغين الذين كذّبوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلّم و أنكروها، وبذلك عملت هذه المبادئ متّحدة على خلق النظام البنائي لسورة "ص"، هذا النظام الذي تميّز بدقّة تعبيره، وابداع نظمه، كيف لا وهو من صنع المبدع – جلّ في علاه– المتفرّد في كل شيء.

وقد تحريت أثناء جمع معلومات هذا البحث تجنّب الخطا والزلل، فإن كنت قد وُفّقت فما توفيقي إلاّ بالله، وإن كنت قد أخطأتُ أو زللتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وبعد أن تقدّمنا باليسير في هذا المجال الواسع، يبقى هذا الموضوع محلّ للدراسة لكلّ من يطرق باب البحث العلمي، آملين أن ينال موضوعنا القبول ويلقى الاستحسان، وأن برزقنا الله الاخلاص في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش.

*** المصادر والمراجع بالعربية**

1. ابراهيم مصطفى وآخرون، ؛المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ج1 د ط.د ت.
2. أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع، ط8، 1411هـ- 1991م.
3. أحمد على محمد، التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي دراسة أسلوبية إحصائية، مجلة جامعة دمشق، مج26،ع1و 2، 2010م.
4. أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، جامعة حلب، ط1، 1426هـ- 2005م.
5. أحمد المختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ، عالم الكتب ط1، ج1، 1429هـ، 2008م.
6. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج23، مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده للطباعة، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م.
7. بيير جيرو، الأسلوبية، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط2، 1994م.
8. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء، دت، دط.
9. جار الله خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 2003م.
10. جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، القاهرة، دار غريب، ط4، 1999م.
11. أبو الحسن أحمد فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة،ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ، 1979 م.

12. حسن طبل: – أ)– علم المعاني في الموروث البلاغي، مكتبة الايمان، المنصورة، ط3، 1425هـ، 2004م.

13. – ب) – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط 1998م.

14. حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002م.

15. الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج1، ط3، 1403هـ، 1993م.

16. ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السّياق، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط1، 1423هـ.

17. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: محمد محي الدين غبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، دط، 1963م.

18. زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، ، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1410 هـ، 1990م.

19. سامح الرواشدة، فضاءات في الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر إربد، ط1، 1999م.

20. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة، د. كمال بشر، مكتبة الشباب، دط، 1972م.

21. سعد مصلوح، الاسلوب دراسة لغوية احصائية، عالم الكتب، ط3، 1412هـ– 1992م.

22. ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، 1402هـ.

23. سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، دار الشروق، ط1، 1972م.

24. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مكتبة العربي الحديث للنشر، الاسكندرية، دط، دت.

25. صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء، القاهرة، ط2، 2000م.

26. صلاح فضل: – أ) – نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة ط1، 1998م.

27. – ب) – علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ– 1998م.

28. عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1418هـ، 1997م.

29. عبد الرحمان ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، ج23، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م.

30. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، ط7، 1418هـ، 1998م.

31. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، دت.

32. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمّان، ط1، 1422هـ، 2002م.

33. عبد القاهر الجرجاني: – أ) – أسرار البلاغة، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، دط، 2003م.

34. – ب) – دلائل الاعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م– 1428هـ.

35. عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، دار الكتاب المصرية للطباعة، القاهرة، 1384هـ، 1965م.

36. عبدالله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1976م.

37. عزّ الدين السّيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، ط1، 1978م.

38. عدنان بن ذريل، النّص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 2000م.

39. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.

40. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1430هـ، 1983م.

41. . فايز الدّاية، علم الدلالة العربي، ط1، دار الفكر دمشق، 1405هـ- 1985م.

42. أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 1997م.

43. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، اعجاز القرآن الكريم.

44. فصل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1989م.

45. فندريس، اللغة، ترجمة الدواخي والقصاص، الأنجلو المصرية، 1950م.

46. فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ، تر: خالد محمود جمعة ، المطبعة العلمية، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1424هـ- 2003م.

47. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ط3، القاهرة، 1421هـ- 2001م.

48. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، مكتبة الشباب، دط، دت.

49. محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، 1426هـ، 2005م.

50. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ابو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج12، تح: مجموعة من المحقيقن، دار الهداية، دط، دت.

51. محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.

52. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج17، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.

53. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، ط1، القاهرة، 1403هـ- 1983م.

54. محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ، 1981م.

55. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، الدار التونسية للنشر، دط، دت.

56. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994م.

57. أبو محمد عبدالله بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر،المكتبة العلمية، ط3، 1981م.

58. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، دط، 1969م.

59. محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991م.

60. محي الدين الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، مج8، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1412هـ، 1992م.
61. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، 1976م.
62. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الانماء الحضاري، ط1، 2002م.
63. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2003م.
64. ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م.
65. نصر حامد أبو زيد، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط4، 1996م.
66. نور الدّين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
67. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ط1، 1408هـ، 1988م.
68. يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسّر للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 2007م.

*** المذكرات الجامعية:**

69. مروان محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م.
70. عمر عتيق، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، بحث مقدّم إلى المؤتمر الدولي الأول في اللغويات (الدرس الصوتي وتطبيقاته على اللغة العربية)، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 8 ذو القعدة 1429هـ، 6 نوفمبر 2008.

* المجلات:

71. فطومة لحمادي، السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصّي، مجلّة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع32، جوان 2008م.

* المراجع بالأجنبية:

72. Jean Dubois et autres, Larous, Dictionnaire de linguistique, Paris, 1999.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
- الإهداء.....	
- كلمة شكر.....	
- المقدمة	أ - ج
التمهيد: مصطلحات ومفاهيم	
I. مفهوم المبادئ	8
1. لغة	8
2. اصطلاحا	8
II. مفهوم الظواهر	9
1. لغة	9
2. اصطلاحا	10
III.مفهوم الأسلوبية	10
1. لغة	10
2. اصطلاحا	11
IV. التعريف بسورة "ص"	11
الفصل الأوّل: مبادئ الدراسة الأسلوبية	
I. مبدأ السياق	15
أولاً: مفهومه	15
1. لغة	15
2. اصطلاحا	16
أ- السياق في الفكر الغربي والعربي الحديث	17
ب- السياق في الفكر التراثي العربي	21
ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي	25

1. السياق التناسقي	26
2. السياق التنافري	27
II. مبدأ الاختيار	29
أولاً: مفهومه	30
1. لغة	30
2. اصطلاحا	30
أ- الاختيار في الفكر الغربي والعربي الحديث	30
ب- الاختيار في الفكر التراثي العربي	33
ثانياً: انواعه في الدرس الأسلوبي	37
1. اختيار محكوم بالموقف والمقام	37
2. اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة	38
III.مبدأ الانزياح	40
أولاً: مفهومه	41
1. لغة	41
2. اصطلاحا	41
أ- الانزياح في الفكر الغربي والعربي الحديث	41
ب- الانزياح في الفكر التراثي العربي	43
ثانياً: أنواعه في الدرس الأسلوبي	47
1. الانزياح الاستبدالي	47
2. الانزياح التركيبي	49
- ملخص الفصل الأوّل	51
الفصل الثاني: أثر المبادئ الأسلوبية في سورة "ص"	
I. أثر السياق	54
أولاً: السياق التناسقي	55

1. السياق النسقي	55
2. السياق الصوتي (جرس الفاصلة)	60
ثانياً: السياق التنافري (الإطار القصصي)	66
II. أثر الاختيار	73
أولاً: الاختيار التركيبي	74
1. أسلوب التكرار	74
2. بنية الاستفهام	86
ثانياً: الاختيار الصوتي (جرس المفردة)	92
III.أثر الانزياح	68
أولاً: الانزياح التركيبي	99
1. ظاهرة التقديم والتاخير	99
2. ظاهرة الحذف	105
3. ظاهرة الالتفات	109
ثانياً: الانزياح الدلالي	114
1. الاستعارة	114
2. التشبيه	119
3. الكناية	120
– ملخص الفصل الثاني	123
– الخاتمة	125
– قائمة المصادر والمراجع	130
– فهرس الموضوعات	138